رواية

BURHAN NIHAD JARRAR



حب أقوى من الانتقام

برهان نهاد جرار



حب أقوى من الانتقام

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٣٦٠٠/٨/٢٠٠٩)

٨١٣,٩

جرار، برهان نهاد حاج إبراهيم
حب أقوى من الانتقام/ برهان نهاد حاج إبراهيم جرار_ عمان: المؤلف، ٢٠٠٩.
(١٣٧) ص
ر.أ: (٣٦٠٠ / ٨/ ٢٠٠٩).
الواصفات: / الروايات العربية/ / العصر الحديث/

- أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@maktoob.com

حب أقوى من الانتقام

برهان نهاد جرّار



دار المأمون للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى أرواح شـهداء أمتنـا العربيـة والإسـلامية عامـة، وإلى أرواح شهداء معركة الكرامـة خاصـة، الـتي أعـادت إلى الأمـة كرامتها.

إلى أرواح كل من له علاقـة بهـذه القصـة، وفي مقـدمتهم الشهيدان البطلان: "منتقم ومغير"..

ومن ثمَّ إلى كل من شجعني للبـدء بالكتابـة وحـثني علـى ذلك وعلى رأسهم الأخ الكبير الدكتور محمـد السـبعاوي "أبـو خالد"

وإلى زوجتي ورفيقة دربي الدكتورة سوسن البارودي، وإلى جميع أحبتي أخوتي وأخواتي، وأبنائي.

أهدي هذه الرواية

حب أقوى من الانتقام

ليس من وحي الخيال أكتب هذه الرواية، وإنما هي أحداث حقيقية بطلاها شهيدان.

قصة مقتبسة من الواقع، أحداثها بدأت في إحدى قرى نابلس، وامتدت أحداثها إلى الزرقاء بالأردن، واكتشفت في معسكر الهامة في ضواحي دمشق الفيحاء، وتم العناق في معركة الكرامة، والمصافحة على قبور الشهداء في مقبرة أم الحيران.

وعاد الحب والوئام

ليحل محل الخصام

الذي لم يعد له مكان

إذا قوي الحب والإيمان

فهل نعتبر ونسير على خطاهما

ليتنا نفعل!؟

فاللهم وفقنا جميعاً لما تحبه وترضاه.

تقديم

كان صاحبنا يعمل في معسكر الهامة، الـذي كـان في تلـك المرحلة المركز الرئيسي لتدريب الفدائيين، ويعتـبر أول معسـكر أنشئ للتدريب في الجمهورية العربية السورية، بعد أن انكشـف أمر حركة فتح من قبل الحكومة السورية وسمح لهـا بالتـدريب على أراضي الجمهورية السورية.

كان الأخ أبو علي إياد رحمه الله، يشرف على التـدريب في هذا المعسكر.

كانــت المهمــة الأساسـية لصـاحبنا تتركـز في الطـوابير الصباحية والمسائية، حيث يقـوم بالهرولـة مـع عناصـر الـدورة الفدائيـة، والقيـام بالتمـارين الرياضـية، لـذا كـان احتكاكـه والتصاقه بأفراد الدورة على مدار الساعة، سيما أنه كان يسكن معهم في المهجع نفسه، الذي ينامون فيه.

قرأ نشرة تعبوية تعطي إرشادات للقائد في كيفيـة التعامـل مع جنوده وعناصره، وضرب مـثلاً علـى ذلـك، مـا يجـري في

تشكيلات جيش العدو الصهيوني، وكيف أن الضابط يعرف مشاكل جنوده ويتعايش معها لكي يستطيع أن ينفذ المهمات الموكلة إليه دون معيقات ناتجة عن وضع نفسي أو عائلي يعيشه، كأن تكون والدة الجندي مريضة، أو زوجته في حالة ولادة، حيث لا يمكن إشراك هذا الجندي في أي عمل ميداني، نظراً لانشغال فكره بما يجري في بيته.

بعد قراءة صاحبنا لتلك النشرة، قرر أن يقوم بتطبيق ذلك على أفراد الدورة، ونظراً لخطورة هذا العمل في تلك الفترة وخاصة أنهم كانوا يعيشون بأسماء حركية، ويمنع منعاً باتاً الاستفسار أو السؤال عن الاسم الحقيقي أو البلد الأصلي أو الأحوال الشخصية والخاصة لكل عنصر، إذ من يفعل ذلك يحال إلى التحقيق وتدور حوله الشبهات، لذا قرر عرض الأمر على الأخ أبي علي وأخذ موافقته على ذلك.

سُرَّ كثيراً لما طرحه عليه وتحمس لتطبيقه فوراً وقال فلتبدأ بسرعة وحذره من أن مثل هذا العمل قد يعرضه في المستقبل لأمر قد لا يرغبه.

وعبثا حاول صاحبنا معرفة ذلك الأمر، حيث ابتسم الأخ أبو علي ورفض إيضاح ذلك، ظناً منه أن صاحبنا لن يقوم بهذا العمل إذا علم مقصده ومراده، ولكنه بعد مرور الوقت استطاع أن يعرف ما الذي عناه بكلامه وتلميحه هذا.

عندما تم تخريج الدورة ذهب صاحبنا مع الرائد (خالد) إلى الأغوار دون إبلاغ الأخ أبو علي. وما أن وصل إلى الكرامة حتى كان الأخ أبو علي قد لحق به وطلب منه العودة إلى الهامة. حاول الرائد "خالد" الاعتراض على ذلك ولكن الأخ أبو علي طلب منه أن يسأل صاحبنا عن أسماء الدورة التي ذهبت إلى القاهرة وإلى أي قرية ينتمي كل منهم.

كان عدد أفراد الدورة أربعة وأربعين مناضلاً. وبناء على طلب الرائد "خالد" قام صاحبنا بالإجابة على ذلك وأضاف إلى ما طلب منه مكان إقامة عائلاتهم وعمل والد كل منهم، وذكر عدد أفراد عائلة كل منهم ووضعهم المادي والاجتماعي وغير ذلك. دهش الرائد "خالد" وضحك الأخ أبو علي وقال:

ألا تريد أن تسأله عن مشاكل عائلاتهم؟؟

ماذا لو تم أسره يا "خالد" أتريد أن تلحق بأهلهم البلاء؟

ضحكوا جميعاً وأردف الرائد "خالد" قائلاً:

مصيبة!!

قال صاحبنا: والله يا عم أبو علي لو قطعوني إرباً ما اعترفت ولا نطقت بكلمة واحدة.

وهنا وجه إليه الأخ أبو علي أمراً بالصعود إلى سيارة اللاندروفر، وحذره من أن يغادر المعسكر دون علمه وموافقته، وأبلغه بأنه لن يسمح له بالذهاب في أي دورية قبل أن يمسح كل ما في ذاكرته من معلومات حتى لو أمره الأخ أبو عمار، فعليه أن يبلغه بهذا الأمر قبل تنفيذه.

وهنا أدرك صاحبنا ماذا قصد الأخ أبو علي عندما حذره مما سيترتب عليه الأمر عندما استأذنه بإجراء بحث اجتماعي لكل أفراد الدورة.

أطرق رأسه وقال حاضر مفهوم يا عم وصعد إلى السيارة.

ضحك الأخ أبو علي وقال: نعم يا "حسام"

أدرك أن الأخ أبو علي قد خطط لأن يبقيه بجانبه ووجد الطريقة التي يكبله بها.

نعم لقد كان للأخ أبي علي ما أراد، حيث شرع صاحبنا بعد موافقة الأخ أبي علي على اقتراحه بالتحدث إلى كل فرد من أفراد الدورة، متعرفاً على اسمه وبلده وحالته الاجتماعية والمالية ومشاكله، وما تحتاجه هذه المشاكل من حلول، والمساعدة في مواجهتها. وعندما عرض ذلك على الأخ أبي علي قام بإرسال مساعدات مالية لعائلة كل منهم ودون إعلامهم عما فعل.

إن أسعف صاحبنا ما تبقى من عمره فسيقوم بكتابة معظم القصص والأحداث التي سمعها أو عايشها على شكل روايات أو أقاصيص وحكايات.

يبدأ صاحبنا بقصة 'منتقم ومغير' وهما من قرية واحدة، اسمها قرية 'الشهامة'، إحدى قرى جبل النار، لأنها فعلا كانت كذلك.

قام صاحبنا بوضع الحقيقة ضمن سرد الواقع الذي عايشه وكان شاهدا عليه، معتمدا على ما سمعه من البطلين 'منتقم

ومغيرْ وما تلى ذلك من روايات على لسان كل من قابلهم ممن عايشوا أحداث هذه الحكاية الفلسطينية .

رغم أنه عايش أحداث هذه القصة منذ أربعين عاماً إلا أنه لم يقم بكتابتها ونشرها لعدم توافر الوقت المناسـب، لانشـغاله بعمله وعدم وجود استقرار في أسلوب حياتـه وعيشـه، حيـث كان مستقره حيث يحل عليه الظلام.

كان صاحبنا يروي قصصه وحكاياته لأصدقاء أحبهم وقد كنت منهم.

وأثناء سرده للأحداث كنت أشعر بأنه يكاد يبكـي وتكـاد دموعه أن تنهمر من عينيه، ولكنه كان يتدارك الموقف ويصمت لبرهة، ليتمكن من السيطرة عليها ووقف انسيابها.

سألته عن سبب ذلك وهل هو عاطفي لهذه الدرجة فقال: إذ كان دمعي قد تحجر منذ نكسة حزيران عـام ١٩٦٧، ولكـن استذكار أحداث هذه الرواية قد أعـادت دمـوعي للجريـان في مآقيها، وكأنني ما زلت أعيش معهـم في تـدريبهم وضـحكاتهم وأحاديثهم وطعامهم وشرابهم، وها هو قـد لبـى نـداءنا وقـام

بكتابة أولى رواياته، والتي إن شاء الله لن تكون الأخيرة فجعبته مليئة بالقصص والروايات والحكايـات الـتي تسـتند إلى تـاريخ شعبنا ونضاله.

أسأل الله لصاحبنا التوفيق

د. محمد السبعاوي

"ابو خالد"

حيرة

تقع قرية "الشهامة" على سفوح جبل العزة إلى الغرب من مدينة نابلس عاصمة جبل النار، وتشتهر بكثرة ينابيعها العذبة وأشجار التين والزيتون الروماني وكروم العنب، الذي يشير إلى أصالة هذه القرية وقدمها وعراقتها.

كان علي وإسماعيل من خيرة شباب القرية لم يتركا القرية وعملا في الزراعة.

نشأت بينهما ألفة ومحبة ارتبطت بحبهما للأرض التي جبل ترابها بعرق ودماء أجدادهما.

كانت علاقتهما راسخة وقوية وأصبحا مضرب المثل للأخوة الصادقة وكلما مرّا في شارع القرية يقول كل من يراهما ها.. يا أخ "رُبَّ أخٍ لك، لم تلده أمك". كان أملهما أن يتزوجا من أختين وفي عرس واحد لكي يكونا عديلين وتستمر حياتهما العائلية في بيت واحد.

حظيا بحب أهل القرية وخاصة المختار الحاج عرفان، والذي رزقه الله فتاتين جميلتين هما قمر وشمسه، حيث كانتا مضرب المثل في رجاحة العقل وحُسن الخُلُق والخَلقْ.

كان المختار يدعو الله أن تكونا من نصيب علي وإسماعيل خاصة أنه قام بتربية إسماعيل ابن أخته آمنة منذ أن سيق والده للتجنيد في الجيش العثماني، وفقد في حرب البلقان، ولم يعلموا بذلك إلا بعد عودة والد علي بعد هزيمة تركيا في الحرب وفراره من الجيش العثماني.

جلس المختار في مضافته مطرق الرأس يفكر ويبحث عن طريقة يتحدث فيها مع ابن أخته إسماعيل بخصوص ابنتيه قمر وشمسه.

دلفت زوجته الحاجة فاطمة وطرحت عليه السلام فلم يلتفت إليها، فأعادت السلام، ولكنه لم يعرها اهتماما، وبقي مطرق الرأس، ولم يرد السلام.

قالت: لماذا لا ترد السلام يا مختار، السلام سنة وردُّه فرض. ما الذي يشغل بالك؟ بماذا تفكر؟ ما لي أراك مهموما؟ خيراً إن شاء الله؟؟

- خيراً يا حجة.. وعليك السلام ورحمة الله، ماذا تريدين؟
- ما الذي يشغل بالك، شاركني في همك.
- اجلسي يا فاطمة، أريد أن تعطيني رأيك في ما يشغل بالي.
- جلست فاطمة في مقابل المختار، وقالت:
- هات ما عندك يا مختار، قل لي ما الذي يشغل بالك.
- يقول المثل يا فاطمة أخطب لابنتك قبل ابنكْ، وأنا والحمد لله لا يوجد لدي أبناء، وابنتاي لغاية اليوم لم يتقدم أحد لخطبتهما.
- صحيح يا مختار، هَمُّ البنات للممات، هَمُّ البنت يبقى فوق رأس أهلها على مدى حياتها، وأنت سيد العارفين، أم تحتاج إلى من يرشدك لما يجب عمله؟
- نعم يا فاطمة، ساعديني وأريحي بالي، أوجدي لي مفتاح كلام مع إسماعيل.
- وهل هذا يحتاج إلى شطارة وفلسفة يا مختار؟؟ إسماعيل أنت خاله وربيته وهذبته أحسن تربية، من يوم ما سافر والده رحمه الله إلى تركيا وأنت تعامله كابن لك. قل له

عما يجول في خاطرك لِمَ الخجل والحيرة في ذلك؟؟

- أخاف من كلام الناس، ويبدأون أكل لحمي بأسنانهم، ويقولون ما الذي جرى للمختار حتى يعرض ابنتيه على الخُطّاب؟

- وهل تريد أن تعلن عن ذلك في الجامع؟؟ تكلم مع إسماعيل وقل له ماذا تريد فإن رفض ذلك يا دار ما دخلك شرّ، ولا أعتقد أنه سيرفض ذلك، هذا ما يتمناه. وإذا وجدت لديه رغبة في ذلك أطلب إليه أن يقول لعلي بالأسلوب الذي يراه، وأنني على ثقة من أنهما سيطيران فرحاً. واعذرني يا مختار لأنني نسيت أن أقول لك أن أختك أم إسماعيل غمزت لي منذ شهرين من أنهما يبحثان عن أختين مناسبتين ليكونا عديلين، ولانشغالها في الزيتون حيث أنها تذهب كل يوم وتأخذ معها طعام الإفطار والغداء، وتعود مساءً لتحضر لهما العشاء، لذا فإنها لم تحضر منذ مدة ولم نتحدث مرة أخرى في الأمر. وإن شاء الله علي وإسماعيل من نصيب قمر وشمسه،

وإن تم ذلك تكونان قد ولدتا في ليلة القدر، ومن رضا الله ثم رضا الوالدين.

- وهل هنالك من هو أفضل منهما، فنعم الأخلاق، ويعلم الله مدى حبي لهما، ولا اخفي عليك، أنني أدعو الله في صلاتي أن يوفقهما، وأن يكونا من نصيب ابنتي، وغداً سأرى إسماعيل في صلاة الجمعة، وسأدعوه لتناول طعام الغداء أو السهرة، حسبما يراه مناسباً.
- تصبح على خير يا مختار، قالتها وهي تبتسم وخرجت من المضافة.
- وأنتِ من أهله يا حَجّه، قالها المختار بصوت مرتفع وهو يدعو لها ولابنتيها بالستر والرعاية.

في اليوم التالي ذهبت الحاجة فاطمة لزيارة أم إسماعيل فوجدتها منشغلة بعمل ورق الملفوف، فطرحت عليها السلام وجلست لكي تساعدها.

بدأت حديثها بالسؤال عن موسم الزيتون وأحوال إسماعيل وعلي وإلى أين وصلا في أمر الزواج.

- إن شاء الله بعد الموسم لديهما النية لأن يخطبا ويتزوجا على رأس السنة.
- وهل هما يحبان قحاط الطنجرة ليتزوجا في الشتاء؟؟

ضحكتا معا وقالت آمنة:

- آه... والله أنهما يحبان ذلك.
- يا أختاه – يا آمنة نحن كبرنا على شغل البيت. ويجب أن تحضري لك كنة، تساعدك وتحمل عنك عبء البيت والبيدر.
- والله يا حجة فاطمة معك حق ولو أنني أخاف أن أحضرت كنة سيصبح عبء البيت والبيدر ثقيل عليك، بالإضافة إلى رعاية الكنة والبيت الجديد.
- ماذا تقولين يا آمنة وإلى ماذا تغمزي وتلمزي؟
- تريدين أن توحي لي بأنك لست على دراية بالأمر فإنني منذ شهرين تكلمت معك في موضوعهما، أم أنك لا تذكرين ذلك. وما دمت فتحت باب الكلام لا اريد أن نذهب لبعيد فابني إسماعيل ابنك وقمر وشمسه بناتي

وليس لي في إسماعيل أكثر مما لك فأنت من رعاه منذ طفولته، أليس كذلك؟ وعلي لا يقل عن ابني إسماعيل وأنا كما تعلمين أعامله كابني وهما دائماً متلازمان ووالده كان نعم الأخ والصديق لأبي إسماعيل ونحن أقارب وأبناء بلد ولن يجدا أفضل من شمسه وقمر.

- علي شهم وشاب كامل والمختار يحبه كإسماعيل وهو دائم الدعاء لهما.
- إنهما متعلقان ببعضهما ولن يتزوجا إلا أختين ليكونا عديلين، هذا قرارهما، وأنا أؤيد ذلك.
- على بركة الله يا أم إسماعيل وهل سنجد من هو أحسن منهما، لا والله أنت العمة وأنا الأم وليس لي في شمسه وقمر أكثر منك وأنا أسأل الله أن يتم ذلك ويبارك لهما في حياتهما وعلى بركة الله.
- أنت يا أم إسماعيل أم العروستين والعريسين، كلمي إسماعيل ودعيه يأخذ رأي أخيه علي وإن اتفقا فأخبريني واعلمي أن أخاك المختار جاهز وهو يتمنى أن يحدث هذا الزواج.

- بارك الله فيك يا حجة فاطمة، طول عمرك تحبين الخير للناس وإن شاء الله تكونان من نصيب علي وإسماعيل ويكون الله عوضك بأحلى شابين في البلدة.
- بالبلدة يا أم إسماعيل!! أحلى شابين في الأمة.

ضحكتا من أعماق قلبهما وبأعلى صوتهما. وفي الوقت نفسه دخل البيت علي وإسماعيل معاً وهما يستفسران عن سبب ضحكهما هذا.

نهضت الحاجة فاطمة وقالت:

- بخاطرك يا أختي آمنة سأراك الليلة، تعالي اسهري ونظرت إلى إسماعيل وقالت:
- ألا يوجد لديك شوق لخالك؟؟
- سامحك الله يا خالتي، المختار والدي وخالي وعمي وليس لي غيره في هذه الدنيا، اجلسي نتناول العشاء معاً.
- صحتين وعافية، من الصباح وأنا مع أمك آمنة ونسيت خالك المختار بدون غداء، يا ستر الله!!

- لا تخافي المختار حنون وفي حياته لم أسمع أنك زعلت منه أنت حبه الأول والأخير.
- ضحكوا جميعاً، وغادرتهم ولسانها يلهج بالدعاء لهما بالهدى والتوفيق والذرية الصالحة.

عمل وطموح

كان علي وإسماعيل قد عملا في الحقل منذ الصباح وما أن جلسا حتى صاح إسماعيل:

إلحقينا يا أماه – جوعانين – عصافير بطني تُزقزق ومصاريني بتقرقع.

حاضر يا ولدي، كل شيء جاهز، طبخت لكما لخنة (ملفوف).

- تسلم يداك يا أماه، من رائحة الطبخ عرفت، احضري لنا حبة ليمون.
- وهل يؤكل الملفوف بدون ليمون؟
- وضعت طبق الطعام أمامهما وجلست تشاركهما العشاء.
- تسلم إيديك يا خالتي، طيبات هالملفوفات.

- تسلم أيادي خالتكما الحاجة فاطمة، ليس هنالك من هو أمهر منها في طهي الطعام.

ضحك إسماعيل وقال:

- لا يا أماه هنالك من هو أمهر منها.
- لا تقل ذلك أنا لست أمهر منها، هي من علمتني كيف اطهو واعجن واخبز، اسكت!!
- أين ذهب تفكيرك يا أماه، ابنتاها أمهر منها أليس كذلك؟؟ فرخ البط عوّام. ضحكوا بأعلى صوتهم.

صمتت أم إسماعيل ونظرت إليهما فقالا معاً:

- يبدو أن هنالك حكي حكيا، تعابير وجهك توحي بذلك.

ضحكت وقالت:

- وهل أصبحتما تقرآن الوجوه، الناس يقرأون الكف، وهل مكتوب على وجهي شيء.
- قالا معاً:

إنك تريدين أن تخطبي لنا. بالله هل هذا صحيح؟؟

- نعم ها أنتما اختصرتما الطريق وفتحتما الموضوع.
- لا عليك يا أماه نحن موافقان، ومن يدك اليمين إلى يـدك الشمال، ونحن طوع أمرك أليس كذلك يا علي؟
- طبعاً وهل لي في قول شيء غير ذلك!
- لستما سهلين يا أولاد، أصبحتما مشاكسين تعرفان الطير وهو طائر!!!
- سامحك الله يا أماه، والله أننا أردنـا أن نتحـدث معـك في ذلك بعد العشاء.
- الموضوع جاهز يا أولاد والعروسـتان جميلتـان وتنتظـران جوابكما على أحر من الجمر.
- صاح إسماعيل أرشدينا إليهما يا أماه!!

ابتسمت وقالت:

- وهل هنالك غيرهما!!
- من هما قال علي بلهفة؟؟

- شمس وقمر يا أولاد.

نهضا وأخذا يرقصان ويتعانقان وقبلا الحاجة آمنة وحملاها بين أذرعهما وطافا بها في ساحة الدار وهي تصيح:

- حرام عليكما، يكفي توقفا، استمعا لما سأقول:
- أنا منذ زمن أراقب أخي المختار كلما يراكما يلهج بالدعاء لكما ويتمنى لكما بنتي الحلال. وأحسست أنه يتمنى أن تكونا ابنتيه شمس وقمر ودائماً يقول:
- زينة الشباب علي وإسماعيل، الله يبعث لهما ابنتي حلال يا رب ويرزقهما الذرية الصالحة. وينظر إلى ابنتيه وتكاد دموعه أن تسقط وتكشف أمره!!
- تصرفي يا أم إسماعيل والموسم خير والحمد لله، اطرقي الموضوع وسلّكي لنا الطريق عسى أن نقرأ الفاتحة قريبا، قال علي.
- أنا جاهزة، وكل شيء إن شاء الله سيتم بأسرع مما تتصوران، والحاجة فاطمة متأكدة من شعور أخي المختار تجاهكما.

ضحكا وقالا على بركة الله.

لم تنتظر أم إسماعيل حتى الصباح، فبعد أن تناولوا طعام العشاء وضعت إبريق الشاي أمامهما وقالت:

- إشربا الشاي وأنا ذاهبة في مشوار وساعود سريعاً.
- الله معك يا أماه قال إسماعيل وغمز علي وقال:
- يبدو أنها متأكدة، أين تذهب!!

وما أن خرجت حتى قال:

- الا ترى يا علي أن الله ميسر الأمر، إنني متأكد أن الحاجّة آمنة لن يطول مشوارها وخالي المختار طيب وحتما سيوافق.
- على بركة الله يا أخي لقد نشأنا مع شمس وقمر وهما زينة بنات القرية يا إسماعيل.
- إذا ما وافق خالي هل نخطب أم نتزوج؟؟
- طبعاً خطبة وزواج بعد موسم الزيتون، على راس السنة قال علي
- عين الصواب فبعد الزيت جلوس في البيت ففي الشتاء لا عمل لنا وكما تعلم أننا نحب أكل قحاط الطنجرة، لذا لابد أن نتزوج في فصل الشتاء من أجل أن يصح المثل وينطبق علينا.

حب يعمر القلوب

طرقت أم إسماعيل باب دار المختار وفتحت لها شمسه الباب واحتضنتها وقبلتها وقالت:

ما شاء الله، الله يحرسك ويحميكي ولأحلى شاب فلسطيني يعطيكي.

وبلا شعور قالت شمسه:

آمين يا عمتي أم إسماعيل الله يستجيب لدعائك.

سمعها المختار فصاح من العلية:

تفضلي يا أختاه منذ مدة لم نركِ نحن في أشد الشوق إليك.

أنت تعرف يا مختار، إسماعيل وعلي طول النهار في الحقل، أذهب إليهما بالإفطار وبالغداء وأحضر لهما العشاء ولا يأتي آخر النهار إلا وأجد نفسي مجهدة وبحاجة إلى النوم، إنني أصلي العشاء وأذهب مباشرة إلى النوم.

- أسأل الله أن يعطيك الصحة والعافية، لماذا لا تزوجي إسماعيل وتصبح كنتك عوناً لك وتحمل عنك شغل الحقل والدار، شغل الدار على الأقل.
- ها أنت فتحت الموضوع يا مختار وأنا حضرت من أجل ذلك وإنني أريد منك أن تذهب معي لنخطب لإسماعيل.
- وهل لدي من هو أغلى وأعز من إسماعيل، إنني طوال عمري أعتبره ولدي أليس كذلك يا آمنة؟
- صحيح يا مختار وهو كذلك لا يحب ولا يعز أحد أكثر منك يا حنون، ألست أنت من أشرف على تربيته ورعايته؟؟ لهذا هو في انتظارنا لنذهب معاً لنخطب له.

استغرب المختار وخاصة أن زوجته الحاجة فاطمة ذهبت منذ الصباح من أجل الحديث مع أخته الحاجة آمنة حول زواج إسماعيل وأنها لم تعد بعد، تراها أين ذهبت وها قد حل الظلام ولم تعد بعد!

نهض المختار وأخذ يحلق ذقنه ويدندن بأغاني وموالات متنوعة وأم إسماعيل تسمع وتضحك.

لبس المختار ديمايته ووضع العباءة على كتفيه. تعطر ولبس حذاءه الجديد وتناول عصاه وقال:

- هيا بنا يا حجة آمنة أنا جاهز إلى أين ستتجه؟ أين دار العروس.

ضحكت حتى بانت نواجذها وقالت:

- اجلس يا مختار وما كادت تنهي عبارتها حتى دلفت الحاجة فاطمة وهي تحمل على راسها صُرَّة كبيرة ونادت على شمسه لمساعدتها في إنزال الصُرَّة عن راسها. فسألها المختار أين كنت يا حجة؟ شغلت بالي وخاصة عندما حضرت آمنة، إلى أين ذهبت وما هذه الصُرَّة التي أحضرتها.

أطلقت الحاجة فاطمة زغرودة فاجأت المختار وقالت:

- لقد ذهبت إلى نابلس واشتريت حامض وحلو وشوكولاته وملبس على لوز.

- خير إن شاء الله هل هنالك حفل مولِدْ؟

- لا يا مختار هذا من أجل خطبة علي وإسماعيل، ألم تخبرك الحاجة آمنة؟؟

- الله يجازيها بالخير، جعلتني أحلق ذقني وأتطيب وأرتدي الديماية والعباية الجديدة لكي نذهب لبيت العروس، فسرحت بخيالي وأخذت أسأل نفسي من هي العروس، وهل طار العريسان؟ من يدري، لقد لعبت آمنة بأعصابي الله يسامحك، بتضحكي علي وغلبتيني كل هذه الغلبة، ما دمت تريدين شمسه وقمر لماذا فعلت ذلك معي هل سأطلب العروس من نفسي؟؟

- واجب يا مختار، الذي يريد أن يخطب بنات الناس عليه أن يتزين ويتطيب ويرتدي أحلى وأغلى الثياب.

اغرورقت عينا المختار بالدموع وقال:

- ألف مبروك وعلى بركة الله وعلى نية القبول نقرأ الفاتحة.

قرأوا الفاتحة معاً ثم أطلقت آمنة زغرودة فهرعت شمسه وقمر تستطلعان ما الخبر وقالتا:

- ماذا هنالك يا أبتاه؟؟

نظر إليهما بحنان وقال:

- ألف مبروك يا بنات أتاكما خطاب ما رأيكما؟

قالتا وقد بدا الحياء والخجل على وجنتيهما:

- الرأي رأيك والقول قولك يا أبتاه.

ضحك المختار وعلا وجهه السرور وقال:

- احضري الشراب يا شمسه.

أحضرت شمسه الشراب وما أن شربت أم إسماعيل كاسها حتى همَّت بالوقوف فقال المختار:

- إلى أين يا حجة اجلسي لنسهر معاً.

- لا أخفي عليك يا مختار إسماعيل وعلي ينتظراني على أحر من الجمر وينتظران الجواب.

- لا عليك سأرسل شمسه لتدعوهما للسهر معنا. اذهبي يا

بنيتي وقولي لهما إن أبي ينتظركما للسهر معه في المضافة.

ذهبت شمسه وعادت بعد قليل وقالت:

- إنهما سيحضران بعد صلاة العشاء في المسجد.
- بارك الله فيهما، هكذا يكون خُلُق الشباب والذين هم عُمّار المساجد أسأل الله أن يرزقهما الذرية الصالحة ويبارك لهما في رزقهما ويمتعهما بالصحة والعافية.

آمين رددن جميعاً بعد دعائه.

بعد صلاة العشاء حضر إسماعيل وعلي والحياء يبدو على محياهما، فاستقبلهما المختار معانقاً وأجلسهما بجانبه، إسماعيل على يمينه وعلي على شماله والبسمة تعلو وجهه ونادى على شمسه وقال:

- الشراب يا شمسه.
- حاضر يا أبتاه.

أحضرت الشراب وقدمته للخاطبين فقال المختار:

- مبروك يا شباب ونظر إلى علي وقال:

- عمي يا علي يعلم الله أنني أعزك مثـل إسماعيـل وأنتمـا مثل ابنتاي في مكانتكما بقلبي ولا أريد أن أطيل الحـديث في ذلك. أبلغ والدك أن يحضـر الجاهـة غـداً بعـد صـلاة العصر وليطلب شمسه لإسماعيل وقمـر لـك وإن شـاء الله سنقرأ الفاتحة.
- بارك الله فيك يا عماه، وإن شاء الله سنكون عنـد حســن ظنك بنـا واعتبرنـا ابنيـك يـا عمـاه وتنـاول يـد المختـار وقبلها.
- أستغفر الله يا بني، لا داعي لـذلك، وبـارك الله فيـك يـا علي. إنني دائم الدعاء لك ولإسماعيل.

بعد أن تنـاولا القهـوة إسـتأذنا بالانصـراف وخرجـا معـاً وهما يكادان أن يطيرا من الفرح.

تحقق المراد

في يوم الجمعة وبعد صلاة العصر حضرت الجاهة الكريمة، وكان المختار وأقاربه في استقبالهم. وبعد أن قدموا فنجان القهوة لأبي علي وقف وقرأ قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ صدق الله العظيم

وقال صلى الله عليه وسلم:

"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه له وجاء" وأردف قائلاً:

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه".

جئنا إليكم والجاهة الكريمة طالبين القرب منكم بطلب يد ابنتكم شمسه لابننا إسماعيل، وكريمتكم قمر لابني علي، راجين أن تسمعونا قبولكم قبل أن تبرد القهوة، وقهوة الأجاويد ما بتبرد.

- أهلا وسهلا ومرحبا بكم، اشربوا قهوتكم يـا أبـا علـي، وطلبكم مجاب، ولنا الشرف بمصاهرتكم، فهما ابناي كما أنهما ابناك وعلى بركة الله.
- قال أبو علي: خلف الله علـيكم يـا مختـار وبـارك فـيكم وأبقاكم لنا وعلى نية القبول اسمعونا قراءة الفاتحة.

قرأ الجميع الفاتحة وتعالـت الزغاريـد وتم توزيـع الحلـوى والشراب. قامت الحاجة فاطمة بتوزيع الكُـلاَّج والـذي يعتـبر كنافة الفلاحين.

اطلقت الأعيرة النارية في الهواء ابتهاجاً وفرحاً عندما أراد أبو علي أن يتحدث بالمهر وملحقاته وقف المختار وقال:

- قال صلى الله عليه وسلم:

أقلكن مهراً أكثركن بركة

المهر مقدمه جنيه فلسطيني والمؤخر كذلك.

جهزوا كما يحلـو لكـم، وإن نقـص شـيء رقـبتي سـداده، وألف مبروك، وعلى بركة الله.

رد أبو علي وقال:

- بارك الله فيك يا مختار، طول عمرك كبير وشـهم وكـريم ومُجَرَّب في فعل الخير.

استأذن أبـو علـي والجاهـة بالانصـراف وبقـي علـي وإسماعيل.

دعا المختار ابنتيه للجلوس مع العريسين وجلست فاطمـة وآمنة والبهجة تعلو وجهيهما وترحمتا على أم علي التي كانـت تتمنى أن تعيش وتفرح بابنها ولكن قدر الله.

أحس علي من نظراتهما بماذا تفكران فقال:

بارك الله فيكما والله أنتما في مقام والدتي رحمهـا الله وإن شاء الله روحها تكون حاضرة وتشاركنا فرحتنا.

بعد أن تسامروا أشار المختار لابنتيه بالانصراف ثـم وجـه سؤال للعريسين:

- متى سيكون الفرح؟؟

- إن شاء الله بعد الزيتون، على رأس السنة يا خال أجـاب إسماعيل.

- على بركة الله أجاب المختار.

ودارت عجلة الأيام

كان الموسم جيداً وتوافر لدى العريسين مبلغٌ من المال كان كافيا لتجهيز غرفتي نوم وإقامة حفلة العرس وانتظرا توقف هطول المطر.

توقف هطول المطر في عيد رأس السنة الميلادية.

بدأت السهرات الليلية واستمرت لمدة أسبوع والحدى والزمار يصدحان لآخر الليل وكانت ليلة الجمعة سهرة الحناء.

تمت حفلة الزواج وبقيت حلقة الدبكة حتى منتصف الليل. وأقيمت الوليمة الكبرى بعد صلاة الجمعة والتي دعي إليها جميع الأهل والأحبة والأصدقاء من القرى المجاورة، وشارك فيها جميع أهالي قرية 'الشهامة' احتفاءً بالعريسين.

جرى حمام العريسين في منزل أبي علي وبعد ذلك اعتلى العريسان صهوة جوادين محجلين. وسارت الزفة من بيت أبي علي إلى دار المختار حيث استلم كل عريس عروسه.

كان المنظر جميلاً واعتلت شمسه وقمر صهوة الجوادين

وأمسك كل عريس بلجام حصانه وسار كل منهما باتجاه بيت الزوجية السعيد.

توفر جزء يسير من المال فجلس العريسان يفكران معاً في إيجاد وسيلة لزيادة دخلهما لمجابهة متطلبات الحياة الجديدة وخاصة أنهما سيرزقان بالأبناء وسيتطلب ذلك مصاريف إضافية.

كان حلمهما أن يزرعا بيارة برتقال نظراً لوجود عين ماء قوية في أرضهما، ولكن زراعة البرتقال مكلفة وتحتاج لبضع سنين حتى يبدأ الإنتاج والذي سيدر أرباحاً جيدة لما حظي به البرتقال الفلسطيني من سمعه جيدة وتزايد الطلب على شراءه وخاصة في الأسواق الأوروبية وبأسعارٍ جيدة.

اقترح إسماعيل أن يقوما بشراء قطيعاً من الأغنام بما توافر لديهما من المال، وخاصة أن هذا العام سنة خير وسيتوفر فيها الغلال والتبن والشعير ويستطيعان زراعة البيقا والبرسيم. أيد علي الفكرة وأضاف يقول:

- نستطيع بيع منتجاتنا من اللبن والجبن والسمن والزبد

والكشك الجميد.. إلى أهالي مدينة نـابلس وإلى الأهـالي عندنا.

راقت لهما الفكرة ولقيا تشجيعا من شمسه وقمر واللتـان تملكان الخبرة في تصنيع الألبان ومشتقاتها كون والدهما المختار يملـك أكـبر قطيـع مـن الأغنـام ويعتـبر المنـتج الأول للألبـان ومشتقاتها في قرية (الشهامة) والقرى المجاورة.

ذهب العريسان مع عروسـتيهما إلى مدينـة نـابلس لشـراء بعض الأغراض الضـرورية للبيـت وتوجهـوا إلى محـل العكـر لأكل الكنافة النابلسية.

أثناء تناول الكنافة لفت انتباه إسماعيل وجود لافتة علـى باب المخزن المقابل معلنة عرضه للبيع أو الإيجار.

سأل إسماعيل الحاج عبد العزيز العكر عن صاحب المحـل فأرشده إليه حيث كان الحاج عادل يجلس على المقهى.

ذهب إليه وبعد أن طرح عليه السلام سأله:

- كم تريد أجرة المحل يا عم أبو عادل؟؟

- للمحترمين بدون مصاري بلاش من أين حضرتك؟

- أنا فلاح من قرية الشهامة؟
- فلاح، كيف ستدير المحل وماذا ستبيع فيه؟
- سأجعله محلاً للحبوب ومنتجات الألبان.
- ما رأيك أن نتشارك معاً، أنت تجلب المنتجات وأنا أبيعها والربح مناصفة.
- ولكن هنالك شريك لي اسمه علي.
- حاضر يا سيدي، احنا الثلاثة شركاء وحصتي الثلث مقابل عملي وإيجار المحل ثلاثة جنيهات في العام.
- على بركة الله اتفقنا، قال إسماعيل.
- هيا معي أعرفك على شريكنا أخي علي حيث أنه ينتظرني في محل العكر للكنافة ونضيفك حلوان شراكتنا.
- أنتم ضيوفنا وواجبكم عليَّ قال الحاج أبو عادل.

نهض الحاج أبو عادل وذهب مع إسماعيل حيث تعرف على أخيه علي وعندها علم أنهما عريسان وفي شهر العسل. حلف ماية يمين أنه سيدفع ثمن الكنافة.

- عيب يا عم أنا عزمتك على حسابي.

- يكفي يا إسماعيل أنتم ضيوف علي وعلى أهل نابلس وأنني مثل والدك.
- غلبتني يا عم وألف شكر والخير إن شاء الله في الجايات.

رفض الحاج عبد القادر العكر أخذ ثمن الكنافة وقال للحاج أبو عادل أنت والعريسان ضيوف على المحل.

ودعهم الحاج أبو عادل بعد أن اتفقوا على الحضور يوم الجمعة ليكتبوا الاتفاقية عند المختار أبو لطفي. الحامد مختار حارة الياسمينة

عاد العريسان بصحبة عروسيهما إلى القرية والفرح يغمرهما وذهبا لزيارة المختار الحاج (عرفان) ولكي يستشيرانه فيما عزما عليه.

استقبلهم المختار وقبل ابنتيه وقال:

- إن شاء الله أكلتم كنافة نابلسية؟.
- نعم ولم ننساك يا خال وأحضرنا لك وللحاجة فاطمة حصتكما ولم ننسى الوالدة الحاجة آمنة.
- بارك الله فيكما ورزقكما الذرية الصالحة، الحمد لله الذي

عوضني فيكما عن الأولاد فأنتما ولداي.

ما إن جلسا في مضافة المختار حتى قال إسماعيل:

- نريد استشارتك في مشروع يدر لنا دخلاً إضافياً لدخلنا من الزراعة فقد تعرفنا على الحاج أبي عادل من نابلس.

قاطعه المختار قائلاً:

- الحاج أبو عادل الطرزي.
- نعم يا خال هل تعرفه
- نعم يا بني وهل تظنني مختار قرية (الشهامة) فقط فأنا ابن نابلس وديمايتي لا أحيكها إلا لديه، ولكن بماذا ستشاركانه وأنتما ليست لديكما دراية في صنعته؟؟

ضحك إسماعيل وقال:

- يا خال الحاج أبو عادل كبر وعيونه لا تساعده على العمل واقترح علينا مشاركته في المحل، نحن نحضر البضاعة وهو يبيعها ويأخذ الثلث وأيام الشتاء نساعده ونتعرف على السوق.
- وما هي البضاعة التي تتحدث عنها؟؟

- الحبوب ومشتقات الألبان يا خال.
- والله يا ولداي الحاج أبو عادل ابن حلال وأمين ويخاف الله، وإن شاء الله تروا الخير على يديه ويعوض الله الحاج أبا عادل بكما حيث أنه لم ينجب أولاد، يساعدونه ولديه خبرة ويستطيع أن يساعدكم ويد الله مع الجماعة، على بركة الله.
- لكن يا مختار نريد شراء كل محصولك من الحبوب والزيت ومشتقات الألبان.
- يا مرحبا بكم وعلى حسابكم كل ما تريدونه.
- جهز إسماعيل وعلي المغارة الواقعة قرب العين ونظفوها وقاما بطلاء جدرانها بالشيد الأبيض وصنعوا لها بابا من الحديد وهيأوها كحظيرة لقطيع الأغنام.
- ذهبا مع المختار إلى سوق الخميس واشتروا مئه رأس غنم وعادوا بها إلى القرية. وكان إسماعيل يعزف على الشبابه خلال مسيرهم ويملأ الوديان بصداها فرحاً حتى وصلوا إلى المغارة مع حلول الظلام حيث وجدوا أم

إسماعيـل وشمسـه في انتظـارهم وقـد جهـزت الميـاه والأعلاف للأغنام.

- بعد أن ارتوى القطيع أدخلوه إلى المغارة، وقامت شمسـه بربط الكلب بالقرب من بابها.

عادوا جميعاً إلى القريـة إلا أن أم إسماعيـل أصَـرَّت علـى النوم بجانب المغارة لحراسة القطيع ولكن المختار قال لها:

- يا أختاه البلد في أمان والباب حديد ومغلق هيا بنا.

غادروا جميعاً إلى القرية وقبل أن يدخل المختار إلى بيته قال له إسماعيل:

- يا خال لقد وعدت الحاج أبا عادل أن نصلي غداً الجمعة معه في الجامع الكبير ونتنـاول طعـام الغـداء بطرفـه مـع المختار أبي لطفي حيـث سـنوقع الاتفاقيـة وعقـد إيجـار المحل.

- سأكون جاهزاً في الصباح يا بني وسنذهب معاً إن شـاء الله.

في صباح يوم الجمعة تولت شمسه وقمر رعاية القطيع بينما توجه المختـار الحـاج (عرفـان) وصـهراه إلى مدينـة نـابلس

حيث التقوا الحاج أبا عادل والذي تعانق طويلا مع المختار الحاج (عرفان) وتبادلا الحديث حيث لامه لأنه لم يقم بدعوته لحفل زواج ابنتيه ولكنه بارك له وقال:

- لولا العريسان لما علمت بذلك ولكن يبدو أنك نسيتني يا مختار.

- حرام عليك يا حاج أبا عادل، وهل استطيع أن أنساك وأنا أرتدي دمايتي في كل يوم والتي عليها بصماتك فهي من صنع يديك المباركتين والله يا حاج أبا عادل أتذكرك حين ألبسها وحين أخلعها، ضحكوا جميعاً وذهبوا لأداء صلاة الجمعة في الجامع الكبير.

رفع أذان الظهر وصعد الخطيب على المنبر، وأخذ يلقي خطبته والتي صادف أنها تضمنت أسس التعامل التجاري وخُلُقِ المسلم في البيع والشراء وأداء الأمانة والصدق في التعامل واختتمها بقوله ألدين المعاملة ثم قرأ قوله تعالى:

- (ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) صدق الله العظيم

بعد أداء صلاة الجمعة ذهبوا جميعا إلى بيت الحاج أبي عادل

يرافقهم مختار حارة الياسمينة أبو لطفي الحامد والحاج عبد القادر العكر والذي أحضر سدراً من الكنافة النابلسية من صنع يديه الكريمتين حلواناً للعريسين وشيركهما الحاج أبي عادل.

أثناء تناول طعام الغداء أخذ المختار الحاج (عرفان) يكيل المديح للخطيب على خطبته الرائعة والتي كانت درساً وتذكره بالحديث الشريف "الدين المعاملة"، وكأنه على علم بسبب حضورنا إلى نابلس فوجه إلينا نصائح وإرشادات تذكر بما يجب أن نكون عليه.

بعد تناول طعام الغداء والكنافة النابلسية الشهية شرع المختار أبو لطفي في كتابة عقد الإيجار واتفاقية الشراكة والتي شهد عليها المختاران الحاج عرفان وأبو لطفي، شكر المختار الحاج عرفان الحاج أبا عادل على كرم ضيافته وتمنى له التوفيق والنجاح مع صهريه ولم ينسَ أن يشكر الحاج عبد القادر العكر على الحلوان الشهي ودعاه لزيارته في قرية الشهامة للقيام بواجبه ورد الجميل.

عاد المختار الحاج عرفان مع صهريه إلى القرية يحملان

الهدايا والحلويات والتي قام بوضعها في المضافة للمهنئين.

في صباح يوم السبت كان علي وإسماعيل وقبل بزوغ الفجر قد وصلا إلى محلهما في نابلس حيث كان الحاج أبو عادل في انتظارهما فبدأوا العمل بتهيئته لوضع الحبوب ومنتجات الألبان والزيت والزيتون.

خلال أسبوع تمكنوا من الانتهاء من تجهيز المحل بكل ما يلزمه وأحضروا الحبوب والغلال ومنتجات الألبان ومشتقاتها بالإضافة إلى العسل والبيض البلدي.

أخذ الحاج أبو عادل يمارس عمله بنشاط وبدأت بشائر الخير من أول يوم بدأوا به عملية البيع إذ تم بيع جميع البضاعة التي جهزوا بها المحل.

استبشر الجميع خيراً وحمدوا الله وبدأ إسماعيل وعلي يجمعان الحبوب والغلال من القرى المجاورة ويزودا بها الحاج أبا عادل ولم يغفلا إحضار تنك الزيت والزيتون وخاصة الجرجير المصنع بأيدي خبيرة في تصنيعه.

سارت تجارتهم على خير ما يرام ولم يأت موسم الحليب

إلا وكان لديهم رأس مال استطاعوا أن يشتروا به كل منتجات الألبان في قرية الشهامة والقرى المجاورة لها.

ونظراً لحسن معاملتهم وأمانتهم وجودة بضاعتهم وتـدني الأسعار والاكتفاء بالربح القليل والبيـع الكـثير أصـبح لمحلـهم والذي أطلقوا عليه اسم "محل الأمانة" سمعه طيبـة وزبـائن كُثـر وخاصة محلات الكنافة النابلسـية وفي مقـدمتها محـلات العكـر والتي أخذت تتسابق لشراء الجبن والسمن البلدي.

ولم يمض عام حتى أصبح لديهم رأس مال يسـتطيعون أن يبدأو به في تحقيق حلمهم في زراعة بيـارة البرتقـال علـى عـين الماء ولكن كثرة العمل وانشغالهم في التجارة أخذ كل وقتهم.

وتتجدد الحياة

في إحدى ليالي رمضان تعالت الزغاريد في قرية الشهامة معلنة ولادة طفلين للعديلين إسماعيل وعلي.

قام إسماعيل بتسمية ابنه فايز تخليداً لذكرى والده الذي لم يَرَه واستشهد بعيدا على أرض البلقان إذ كان جندياً في الجيش العثماني!.

أما علي فقد سمى ابنه عرفان لمحبته للمختار مما أدخل السرور على قلب المختار وزوجته الحاجة فاطمة كما أسعد ذلك زوجته قمر وأختها شمسة.

كانت شمسة وحماتها الحاجة آمنة تذهبان لحلب الأغنام وكانت تترك ابنها فايز برعاية خالته قمر والتي كانت ترضعه مع ابنها عرفان رغم اعتراض أبيها المختار على ذلك والذي كان يقول:

- يا بنيتي حرام عليك، لا تظلمي فايز فعسى أن يهب لك الله ابنة جميلة فتحرمي فايز من الزواج بها.
- تضحك وتقول شمسه يا أبتاه هي التي ستنجب بنت

حلوة سأطلبها لابني عرفان أما فايز فسأخطب له من بنات خالي أبي أحمد أم أنك لا تفكر أن تناسبه مرة أخرى؟؟

فيضحك الحاج عرفان ويقول دائماً جوابك حاضر يا قمر وعلى راس لسانك.

كانت قمر تضعهما في أرجوحة واحدة وينامان في سرير واحد في موسم قطف الزيتون كانا يوضعان في أرجوحة واحدة متدلية من شجرة زيتون رومانية، يلعبان معاً.

ما أن بلغا عامهما الأول حتى جرى احتفال بطهورهما في أول أيام عيد الفطر المبارك وذبحت لكل منهما كبشين، حسب السنة والعادة، واجتمع الأهل والأحبة من قرية الشهامة لتناول طعام الغداء.

كبر فايز وعرفان وكانا دائما يلعبان ويلهوان معاً وكان والداهما يتابعان نشأتهما وغالباً ما استمرا في نومهما في سرير واحد.

لقد رأيا فيهما تكراراً واستنساخاً لحياتهما فيلجأن بالدعاء

للعلي القدير أن تدوم محبتهما وأخوتهما.

تحسنت الأحوال وأصبح وضع علي وإسماعيل المالي جيداً وتسابقت الأختان شمسه وقمر في إنجاب البنين والبنات ولكن فايز وعرفان كانا يحظيان بمحبة الجميع وخاصة المختار الحاج عرفان. في عامهما الرابع أرسلا إلى الكتاب لدى الشيخ توفيق ليحفظا القرآن الكريم ويتعلما القراءة والكتابة رغم صغر عمرهما إلا أنهما أظهرا ذكاءً خارقا وتمكنا من حفظ جزء عمّ في شهر واحد في كل يوم كانا يحضران بيضة ورغيف للشيخ توفيق. وذات يوم نسيا عن غير قصد إحضار البيضة والرغيف، فنهرهما الشيخ توفيق ففرا إلى الجبل وأخذا يبحثان عن أعشاش العصافير وغفلا عن مرور الوقت فداهمهما الليل فخافا أن يعودا إلى القرية خوفاً من ضبع الخربة والذي يخرج مع حلول الظلام يبحث عن فريسته حسبما أخبرتهما جدتهما الحاجة فاطمة.

تسلقا شجرة التين العالية وقررا أن يقضيا الليلة في أعلى الشجرة وبين أغصانها بعيدا عن متناول الوحوش الضارية.

مع حلول الظلام افتقدتهما قمر فأبلغت والديها فذهبا إلى

الشيخ توفيق وسألاه عنهما فأخبرهما أنهما فرّا من الكتاب منذ الصباح حيث أنه نهرهما عن غير قصد.

أعلن في القرية عن اختفائهما وروى بعض الفتية أنهم رأوهما يتجهان إلى الجبل عن طريق الخربة.

خرج رجال القرية يحملون المشاعل متجهين نحو الجبل بحثا عنهما وما أن وصلوا إلى شجرة التين العالية وعلى نور المشاعل رأى الشيخ توفيق الطفلان في أعلى الشجرة متعانقين ويغطان في نوم عميق.

صعد إلى أعلى الشجرة وهو يشعر بحرج شديد لما سببه لهما وأخذ يناديهما بلطف: أحبتي فايز.. عرفان هيا استيقظا، صح النوم يا عرفان صح النوم يا فايز.

نتيجة لصوت الشيخ توفيق ونور المشاعل استيقظ الطفلان فوجدا المشاعل تضيء المكان والشيخ توفيق ينظر إليهما والابتسامة تعلو وجهه ويقول لهما:

- لا أريد بيضة ولا رغيف هيا معي.

ضحك جميع الحضور ونزلا عن الشجرة مع الشيخ توفيق فاحتضنهما والديهما وعادوا إلى القرية وهم يرددون الأهازيج

والتي وصل صـداها إلى القريـة فسـمعتها الجـدتان والوالـدتان فعلت الزغاريد وهبوا لاستقبالهم.

أصبحت قصتهما تروى للأطفال وأصـبحت حكايـة مـن التراث يذكرها الكبار للصغار وترويها الأمهات لأطفالهن قبـل خلودهم إلى النوم.

انتقل فايز وعرفان للدراسة في مدرسة النجاح في نـابلس. وفي كـل صـباح كانـا يتجهـان إلى نـابلس يحمـلان الألبـان ومنتجاتها والغلال والبيض البلدي على ظهر الحمير لإيصـالها إلى محل والديهما.

ثورة البراق

(عام ١٩٢٩ ضد الاحتلال الإنجليزي لفلسطين)

أنعم الله على إسماعيل وعلي بخيراته من مال وبنين ولكنهما ابتعدا عن الزراعة بعد وفاة الحاج أبي عادل وانشغلا في إدارة المحل.

قررا اصطحاب عائلتيهما للصلاة في المسجد الأقصى فاستأجرا حافلة وكان ذلك في الثالث والعشرين من آب عام ١٩٢٩. سُرَّ الجميع بهذه الرحلة وخاصة المختار الحاج عرفان وزوجته الحاجة فاطمة وغمرها السرور وهما يرافقان أحفادهما.

انطلقت بهم الحافلة بعد صلاة الصبح وكلما مرت بالقرب من قرية بادر فايز وعرفان بالسؤال ما اسم هذه القرية فيجيبهم جدهم المختار الحاج عرفان، إلى أن وصلا إلى قرية يتما فقرءا اللافتة المكتوبة فصاحا معا ها هي بنما فأين قناتها.

ضحك الجد الحاج عرفان وقال هذه يتما وليست بنما، بنما، يا أولاد في أمريكا.

ضحك الجميع وسُرّوا بجمال مدينتي البيرة ورام الله حيث انبهروا بجمال القرميد الأحمر الذي يعلو معظم البيوت، وصلوا إلى القدس والتي يشاهدونها لأول مرة بأسوارها التاريخية ومآذنها وكنائسها، وكم كان المنظر جميلاً.

لم تكتمل الفرحة فما أن انتهت صلاة الجمعة حتى اندلعت المظاهرات والتي كانت شرارة بدء ثورة البراق.

اشتبكت الجماهير مع القوات الإنجليزية والتي كانت تحرس اليهود الذين قدموا للصلاة بالقرب من حائط البراق.

شارك الجميع في إلقاء الحجارة على هذه القوات.

طلب علي وإسماعيل من عمهما المختار وزوجته الحاجة فاطمة العودة إلى القرية واصطحاب عائلتيهما وأبلغاه أنهما سيبقيان للمشاركة في ثورة البراق.

استجاب المختار لطلبهما واصطحب ابنتيه وأحفاده وركبوا في الحافلة عائدين إلى قرية الشهامة.

في اليوم الثالث لانطلاقة ثورة البراق والذي صادف السادس والعشرين من آب عام ١٩٢٩ سقط إسماعيل شهيداً برصاص البوليس الإنجليزي.

عاد علي إلى قرية الشهامة مصطحبا جثمان أخيه وعديله إسماعيل حيث أقيمت له جنازة شعبية شارك فيها الآلاف من أبناء جبل النار.

أثناء وداع إسماعيل كان فايز وعرفان يشاركان الجماهير في هتافاتها ولكنهما لا يدركان ما الذي يجري حولهما ولكنهما عندما رأيا جثمان إسماعيل يسجى في القبر ويهال عليه التراب انهمرت دموعهما وارتفع صوت بكائهما.

قام علي باحتضان الطفلين وأقسم لهما بأنه سيثأر لحبيبه وأخيه إسماعيل.

في درب الثوار

التحق علي سراً بمجموعات الشيخ عز الدين القسام وتلقى تدريبه العسكري في أحراش قرية يعبد قضاء جنين، وأخذ يشارك في العمليات العسكرية.

لكن علي استمر في العمل ضمن مجموعات 'الكف الأسود' حيث شارك مع (أبي النمر) في تغطية انسحاب الشيخ المجاهد (محمد أبو جعب) بعد تنفيذه عملية قتل حاكم لواء منطقة الجليل الإنجليزي 'لويس أندروز' داخل الكنيسة الأنجليكانية في مدينة الناصرة وتمكنوا من الانسحاب بسلام.

خبأ علي سلاحه في مغارة العين وعاد للعمل في دكانه في مدينة نابلس لكي يتمكن من إعالة عائلته وعائلة الشهيد إسماعيل والتي أصبحت أمانة في رقبته.

تمكنت القوات البريطانية من اعتقال الشيخ (محمد أبو جعب) ووضع في سجن نابلس في انتظار ترحيله إلى سجن عكا لتنفيذ حكم الإعدام فيه.

تمكن (أبو النمر) من معرفة موعد نقل ابن خاله الشيخ

(محمد أبو جعب) إلى عكا بواسطة القطار والذي كان سائقه (أبو محمد فؤاد) فأرسل إلى علي طالبا منه الحضور إلى قرية برقة مصطحبا سلاحه الشخصي. أعدا كمينا في محطة القطار بالمسعودية بالقرب من قرية برقة وأبلغا سائق القطار كي يخفف سرعته كي لا ينقلب به حيث سيقوما بنزع قضبان سكة الحديد مما سيحرف القطار عن مساره مما سيؤدي لتوقفه.

صعدا إلى القطار وتمكنا من تحرير الشيخ المناضل محمد أبو جعب والذي تمكن من الفرار إلى الحجاز حيث أمضى حياته في مكة المكرمة حيث عمل مدرساً هناك.

أحسن علي تربية فايز وعرفان ولم يشعر فايز بفقدان والده إسماعيل لما كان يلقى من حب ورعاية وحنان من قبل عمه علي.

أنهى فايز وعرفان الصف السابع والتحقا بمعهد خضوري الزراعي بطولكرم ليتمكنا من تحقيق حلم والديهما بزراعة بيارة البرتقال على أرض العين.

أثناء دراستهما في معهد خضوري أخذا يعدان الأرض

ويهيئانها للزراعة وإعداد الحفر المناسبة.

قاما بإحضار أشتال البرتقال من يافا وفي احتفال شارك فيه مزارعو القرية. تمت زراعة ألف غرسة برتقال وليمون وتم شراء عشرين خلية نحل وضعت في البيارة.

تم الاحتفال بافتتاح بركة خاصة لجمع المياه ولتعليم أطفال القرية السباحة. وقد كان ذلك اليوم يوم عرس كبير حضره معظم أهالي القرية، والذين دعوا إلى وليمة بهذه المناسبة.

ما أن أنهيا دراستهما في معهد خضوري الزراعي حتى كانت أشجار البرتقال قد أتمت عامها الثالث وتم جمع باكورة إنتاجهما الذي كان يبشر بنجاح قادم. كما أصبح لديهما ما يزيد على مئه خلية نحل وأصبح العسل جزءاً هاماً من إنتاجهما والذي يدر عليهما دخلاً جيداً.

أقاما بجانب البيارة حظيرة للأبقار أضيفت إلى قطيع الأغنام والتي زاد عددها على ألف رأس غنم.

أصبح وضعهما المادي جيداً وكانا يرسلان كل إنتاجهما إلى محل الأمانة حيث كان علي يدفع لهما ثمن إنتاجهما

ويشجعهما ويرشدهما لما يجب عمله.

عملا على بناء بيت مشترك لهما على تلة مشرفة على البيارة وأحاطاه بسياج تتسلق عليه أشجار العنب.

قرر علي أن يقيم عرساً مشتركاً لفايز وعرفان ولكنه لم يستطع أن يجعلهما عديلين نظراً لرغبة ابنه عرفان بالزواج من ابنة خالته صفاء شقيقة فايز وبحث الأمر مع المختار الحاج عرفان بحضور والدتيهما شمسه وقمر.

كان علي يسعى لإدخال الفرحة إلى قلب أم إسماعيل والتي تنتظر اليوم الذي سيتزوج به حفيدها وينجب ابنا يحمل اسم ابنها إسماعيل.

اتفقوا أن يكون العرس على رأس السنة كما كان عرس والديهما وقال علي كل شيء جاهز ولا ينقصنا سوى البحث عن عروسه مناسبة لفايز:

سألته الحاجة آمنة وعرفان هل عروسه جاهزة.

- قال نعم حفيدتك صفاء يا حجة إن كنت لا تعارضين.
- ها أنت تخطط لوحدك وعلى هواك ويبدو أنك لست بحاجة لاستشارة أي كان وأخذت القرار يا علي.

- وهل هذا الأمر يحتاج إلى مشورة فكلنا يعرف مدى تعلق عرفان بصفاء وتعلقها به منذ صغرهما.
- لكن من حقهما أن يبديا رأيهما في ذلك أليس كذلك؟؟
- إسأليهما يا خالة أم إسماعيل واعرضي الأمر عليهما وحتما سيجيبانك بالقبول. ولكنني أريد أن أستشيرك في عروس فايز فما رأيك ببنت أختي نعمة فهي فتاة جميلة وذكية

ضحكت أم إسماعيل وقالت:

- والله يا علي إنني لا أريد له غيرها وغداً إن شاء الله سنذهب إلى قرية المروءة ونجس النبض ونطرح الأمر على أم نعمة وإن شاء الله لن تعترض وستكون مسرورة لذلك وحتما لن يعارض زوجها فهو يحب فايز وعرفان كأبنائه.
- على بركة الله، قال علي.

في اليوم التالي ذهبت أم إسماعيل والحاجة فاطمة وابنتاها شمس وقمر لزيارة أم نعمة في قرية المروءة حيث استقبلن بحفاوة بالغة. وما أن تحدثت أم إسماعيل مع أم نعمة حتى وجدت إيجاباً وقبولاً كما توقعت نظراً لمعرفة

أم نعمة بخلق وشهامة فـايز وهـي علـى دراية تامـة بـذلك، حيـث كـان يحضـر مـع ابـن أخيهـا عرفـان لزيارتهـا منـذ طفولتهما.

في اليوم التالي ذهب المختـار الحـاج عرفـان وعلـي علـى رأس جاهة إلى قرية ُالمروءة ْ وطلبا يد نعمة لفـايز، فـتم القبـول وتعالت الزغاريد، وأطلقت الأعيرة النارية.

تم الاتفـاق علـى أن يقـام حفـل زواجهمـا في عيـد رأس السنة، لإحياء ذكرى زواج والديهما قبل خمسة وعشرين عامـاً. استمر عقد حلقات الدبكة والغناء لمدة أسبوع واختتمـت يـوم الخميس بسهرة الحِنّاء، وكأن التاريخ يعيد نفسه حيث لم تشـهد القرية مثيلاً لها منذ خمسة وعشرين عاماً.

كان المختار الحاج عرفان يبكي ويضحك في آنٍ واحد وقد بللت الدموع لحيته وانسابت على صـدره، وكـان يـردد الـذي انجب لم يمت. والله كأني أعيش يوم زفاف قمر وشمسه والحمد لله إنني عشت إلى هذه اللحظة لأفرح بأحفادي.

اتجهت الزفة إلى قريـة ُالمـروءة ْ حيـث تم اسـتلام العـروس نعمة ووضعت على صهوة جواد قـام فـايز بالإمسـاك بلجامـه

وعادوا جميعاً إلى قرية الشهامة وسط أهازيج وأغاني وعزف على المزمار.

حضر حشد كبير من المجاهدين رفاق والديهما للمشاركة في إحياء عرس فايز وعرفان، وتعالى صوت إطلاق الرصاص، وبقي الاحتفال حتى منتصف الليل، وبعد أن تناولوا طعام العشاء تمت مرافقة العرسان حتى أدخلوا إلى بيتهم بالقرب من البيارة.

في صباح يوم الجمعة وأثناء أداء المختار عرفان صلاة الصبح في جامع القرية انتقل إلى رحمته تعالى وهو ساجد. فأقيمت له جنازة بعد صلاة الجمعة حضرها جمع غفير من أهالي القرى المجاورة وخرجت قرية الشهامة شيباً وشباناً لوداع المختار الحاج عرفان رجل الإحسان وراعي الأيتام.

قبل علي المختار من جبينه وقال لفايز:

- أمانة يا بني أن تسمي ابنك عرفان لكي يبقى ذكر جدك خالداً.

انهمرت الدموع من عيني فايز وأجاب:

- حاضر يا عماه.

المصيبة

في صيف عام ١٩٤٥ دعي فايز وعرفـان إلى عـرس أحمـد شقيق نعمة في قرية المروءة. فذهبا على صهوة جواديهما وحمل عرفان بندقيته وحال وصوله إلى قرية المروءة أخـذ يطلـق النـار وفايز يرجوه أن يتوقف عن ذلك حيث أنه كان لا يحب ظاهرة إطلاق النار.

أثناء الحفل أخذت النساء تغني للمختار ويحرضـن عرفـان لأن يطلق النار فيستجيب لهن وهو على صهوة جـواده وكلمـا علت الزغاريد ازداد حماسه. وكان فـايز يعتلـي صـهوة جـواده ويقف إلى جانبه. وفجأة أمسـك عرفـان بندقيتـه مـن مقـدمتها وقدمها لفايز وهو يقول:

- خذ البندقية وأطلق النار

وتحت إصرار عرفان مد فايز يده ليتناول البندقية وما كـاد أن يمسك بها حتى جفل الحصان وانطلقت طلقـة مـن البندقيـة فأصابت عرفان في صدره فسقط عن الحصان أرضاً.

نزل فايز عن حصانه وهو يصيح أخي حبيبي عرفان واحتضنه.

ابتسم عرفان وقال له وعلى مسمع من الحضور:

- إنني مسامحك - الغلطة غلطتي والذنب ذنبي.

يا ناس أمانة تبلغوا أهلي أن لا ذنب لفايز وأنا من أخطأ واتحمل نتيجة خطأي - أخي فايز احرص على رعاية أختك صفاء وابنها ولترعاهما وتعتني بهما إنهما أمانة في عنقك. ولا تنسى خالتك شمسه.

نطق بالشهادتين وخرجت الروح لبارئها.

أخذ فايز يبكي ويصيح ويقول:

عرفان لا تمت، لا أستطيع العيش بدونك، خذني معك.

فَرَّ فايز إلى نابلس وسَلَّمَ نفسه لمركز البوليس في المقاطعة فتم حجزه وأرسلوا الفرسان إلى القرية للتحقيق فيما حدث وأخذت شهادات الحاضرين أثناء وقوع الحادث، من أجل الوصول إلى حقيقة ما حدث. نتيجة للتحقيقات تم تبرئه فايز في المحكمة وحُمِّلَ القتيل عرفان المسؤولية وخاصة أن سلاح

الجريمـة هـي بندقيتـه. وقـام علـي بإسـقاط حقـه الشخصـي والعشائري وشهد أن فايز بريء ولا علاقة له بالحادث. ولكـن ابنه حسين والذي كان حانقاً على ابـن خالتـه بسـبب مشـاركة أخيه له وتفضيله لفايز عليه. أقسم ليثأرن من فايز.

كثيراً ما كان حسين يشـتكي لوالدتـه قمـر مـن تصـرفات أخيه عرفان وعلاقته بفايز فتضحك وتقول يـا حسـين لا تكـن غيوراً إنه أخوكم، وقد رضع مني وهما قد كبرا معـاً ولم يفترقـا منذ الطفولة ونشئا معاً ومنذ استشهاد والده إسماعيل وعرفـان وفايز يعيشان في كنف ورعاية والدك علي وكأنهما توأمان.

كان هذا الكلام لا يروق لحسين.

شتات

بعد ستة أشهر ونظراً لتنازل علي عن كامل حقوقه وتقديمه طلب استرحام لفايز ومطالبته بإطلاق سراحه أطلق سراح فايز حيث برأته المحكمة من تهمة القتل واكتفت بمدة حبسه فغادر إلى مدينة الزرقاء.

التحق بالجيش العربي الأردني ولم تستطع نعمة العودة إلى قرية الشهامة خوفاً من حسين فالتحقت بزوجها وسكنا في حي الحسين بمدينة الزرقاء.

حرص فايز على إبقاء مكان عمله وسكنه سراً ولم يستطع حسين معرفة مكان وجود فايز. كما أن فايز تعمد أن لا تكون له أيةُ صلة بأي من أهالي قرية الشهامة.

توارى فايز عن أعين الناس وأشاع أنه سافر للعمل في الكويت كما أن زوجته ساعدته في المحافظة على سرهم حتى عن أبنائهما والذين لم يعلما شيئاً عن الحادثة.

وهكذا ذهبت محاولات حسين معرفة مكان فايز هباءً

فانقطعت الأخبار. ولكنه أسمى ابن أخيه "منتقم" ليأخذ ثار أبيه

وضع حسين يده على جميع أملاك فايز وبعد مرور عام على مقتل عرفان وتحت إصرار الحاجة فاطمة وأم إسماعيل ولرعاية منتقم ابن عرفان من قبل عمه حسين، تم عقد قران حسين على صفاء وأنجبت منه بنين وبنات ولكنهم لم يعلموا أن منتقم أخوهم وابن عمهم في آن واحد.

وإنما كانوا ينظرون إليه على أنه الأخ الأكبر.

عبثاً حاول حسين أن يزرع الحقد في قلب منتقم ويذكره بمقتل والده على يد خاله فايز ولكن جدته قمر ووالدته صفاء كانتا تطفئان هذا الحقد وتحدثانه عن مدى حب والده رحمه الله لخاله فايز وتعلقهما ببعضهما البعض ونشأتهما معاً. وغالباً ما روت له ليلة قضائهما الليل على أعلى شجرة التين.

من كثرة ما سمع منتقم عن خاله فايز وشهامته وأخوته الصادقة لوالده وأخلاقه الحميدة وتنازله عن كل ما يملك لحسين وعدم مطالبته باي شيء من أملاكه ورأس ماله رغم مرور السنين غمر حبه قلب منتقم بدلاً من الحقد الذي حاول

حسين زرعه في قلبه.

حينما كان يُذكر فايز في أحاديث الناس كان يتملك منتقم شعوراً بالفخر والاعتزاز بخاله فهو الخال والعم وزوجته نعمة ابنة عمة أبيه.

ترسخت لديه قناعة بأن الحادث لم يكن سوى قضاءً وقدراً. وأن الألم الذي حل بفايز نتيجة لهذا الحادث لم يقل عما لحق بمحبيه وأهله فهو أعز الناس على قلبه.

نشأ منتقم نشأة إسلامية حيث أتمَّ حفظ القرآن في سن الثانية عشرة وألمّ بمعانيه وكان الفضل في ذلك لوالدته صفاء والتي كانت تقرأ وتُسَمِّع له حتى أنها استطاعت حفظ القرآن نتيجة لتكرار قراءته لابنها. وكان عندما يصلي مع جدته ووالدته يطلبن منه أن يكون إمامهما فيقرأ ما يثلج صدريهما ويطمئنهما ويشعران بأنه لا يملك حقداً ولا غلاً لأحد وخاصة خاله فايز.

وهكذا تم إحباط محاولات حسين والذي باءت محاولته بالفشل حتى أنه لم يعد يتحدث عن فايز لما شعره من نفور ابن أخيه منتقم من سماع أي حديث يسيء إلى خاله.

كان ينتظر لقاء خاله على أحر من الجمر ويسأل نفسه متى

سيكون هـذا اللقـاء وهـل سأستطيع معرفتـه إن رأيتـه؟ كـان يتخيل هذا اللقاء حتى أنه كان كثيراً ما يحلم أثناء نومـه بعنـاق خاله ولكن معالمه لم تكن واضحة له حيـث أنـه لم يَـرَ صـورته لكي يتعرف عليه.

أصبحت لديه قناعة بأن ما يفعله عمه حسين إنما هو نتيجة لطمعه وجشعه في أن يرث البيارة والبيت وأنه يسعى للخلاص منه ومن خاله معاً، لكي يصبح كل شيء له ولأبنائه. وكثيراً ما سأل نفسه:

ألا يكفي العم حسين مـا حصـل عليـه مـن مـال وعقـار وأنعام، فقد أصبح مالكاً لكل شيء، وانتقل إليه كل مـا يخـص والده وخاله فايز. وأصبح نتيجـة لـذلك أغنـى رجـل في قريـة ‹الشهامة›، لما دَرَّه ذلك من خير عليه، لم يكن يحلم به في يوم مـن الأيام ولكن الأقدار ساقت كل ذلك إليه.

وبعد استشهاد جده علي في معركـة ‹بلعـا› عمـل عمـه حسـين في إدارة المحل، وتولـت قمـر وشمسـه رعايـة الأبقـار والأغنـام وتصـنيع البانها.

إلى الجامعة

كان منتقم يدرك أن الثأر سيتبعه ثأر ونهر من الـدماء فلـو قام بقتل خاله فايز فحتماً سيقوم أحد ابنائه باخـذ الثـأر لأبيـه وسيتم قتله وهكذا سـيتحقق لعمـه حسـين مـا أراد وسيشـكل ذلك طريق الخلاص من مطالبته بـإرث أبيـه. وغالبـا مـا كـان يسأل نفسه:

هل حقاً يستطيع الجشع والطمـع أن يقضـيا علـى أواصـر القربى والمحبة؟ أليس عمه حسين هو مـن أشـرف علـى تربيتـه ورعايته وأنه بمقام أبيه وأب لإخوانه وأخواته وزوج أمه؟ هـل حقاً يستطيع الشيطان أن يسـيطر علـى الإنسـان إلى هـذا الحـد فيجعله يتصرف بعيداً عن الخلق والدين ويقظة الضمير؟

كان لأحاديث جدته وأمه الأثر الكبير في تنشـئته وخاصـة عند حديثهن عن ما تم في عرس أبيه وخاله والذي كـان عرسـاً مشتركاً وفي آن واحد. وفي نفس الليلة كما تم لجديـه إسماعيـل وعلي قبل ذلك وبنفس الطريقة والنهج وبالتحديد علـى رأس

السنة الميلادية.

إن فايز وعرفان أبناء خالات، وأخوة في نفس الوقت، حيث رضعا معاً من جدته قمر، ولم يكن فايز في يوم من الأيام من حملة البنادق بل كان يكره ظاهرة إطلاق النار، وهذا ما سمعه من كل من عرف والده، كما أنه علم أن والده كان لا يسير إلا والبندقية بكتفه، وأنه كان دائماً يدعى للأعراس ولا يدع مناسبة تمر دون أن يطلق زخات من الرصاص.

لم يترك عرساً إلا وشارك به ولم يعد لبيته من عرس وفي جعبته طلقة واحدة. ولولا طريقته الخاطئة في مناولة البندقية لعمه فايز لما حدثت الكارثة ولما وقعت المصيبة التي أودت بحياته.

كانت جدته تحضه على الانتباه لدراسته والسعي للحصول على علامات جيدة لكي يتمكن من الالتحاق بالجامعة، والانتساب لكلية الحقوق، ليحصل على ليسانس حقوق، ويصبح قاضياً يحكم بين الناس بالعدل، ويعطي كل ذي حق حقه، ويحافظ على حقوقه ويرضي الله بعدله.

التحق منتقم بالمدرسة الابتدائية في قريته حيث كان هنالك

أستاذ واحد وهو المدير في نفس الوقت، والمدرسة صف واحد يجتمع فيه طلاب أربعة صفوف من الأول الابتدائي حتى الرابع. كان 'منتقم' يحصل على الترتيب الأول في سنين دراسته في مدرسة القرية.

عندما ترفع إلى الصف الخامس الابتدائي انتقل إلى الدراسة في مدارس نابلس، وكان يذهب إلى نابلس في كل يوم مشياً على الأقدام وأحياناً يركب على حماره، والذي كان يحمله بالمواد التموينية لإيصالها إلى محل الأمانة، والذي أصبح يديره عمه حسين.

أنهى منتقم دراسته الثانوية في مدرسة نابلس الثانوية وحصل على شهادة الدراسة الثانوية 'التوجيهي' عام ١٩٦٤. رغم حصوله على معدل يؤهله للالتحاق بكلية الطب والهندسة إلا أنه آثر الالتحاق بكلية الحقوق لتحقيق حلم وأمنية جدته في أن تراه قاضياً عادلاً.

سافر إلى سوريا وقدم طلب الالتحاق بجامعة دمشق كلية الحقوق. نظراً لمعدله العالي فقد تمت الموافقة على قبوله. طار فرحاً وقام باستئجار غرفة في حي الشعلان بدمشق حيث آثر

السكن وحيداً لكي يعطي جل وقته للدراسة.

عندما رزق فايز بابنه البكر أسماه عرفان تنفيذا لوصية عمه علي وتخليداً لذكرى ابن خالته عرفان وجده المختار عرفان. حرص فايز على تربية ابنه عرفان تربية صالحة وحرص على تحفيظه القرآن في جامع الشيشان في الزرقاء حيث أتمه وهو في سن الرابعة عشرة. وفي عام ١٩٦٤ حصل على شهادة الدراسة الثانوية 'التوجيهي' أي في نفس العام الذي حصل فيه منتقم على شهادة الدراسة الثانوية.

التحق عرفان في كلية الحقوق بالجامعة الأردنية مما أثلج صدره والده والذي علق على ذلك بقوله:

لقد أحسنت الاختيار يا بني فعسى أن تنجح وتصبح محامياً قديراً أستطيع الاعتماد عليه وتوكيله للدفاع عني وإعطائي حقاً ضاع مني رغم براءتي.

- براءتك من ماذا يا والدي وهل أنت متهم بشيء ما.
- انتظر عرفان من والده جوابا على سؤاله ولكن فايز أطرق ولم يجب وبقي عرفان حائرا وأخذ يسأل نفسه ماذا

قصد أبي بذلك وما التهمة الموجهة إليه وممن ومن الـذي يلاحقه بهذه التهمة.

- حاول الاستفسار من والدته نعمة ولكنها لم تعطه جوابـاً لسؤاله، وأظهرت عدم علمها بمقصد والده.

الانطلاقة

وزع البيان الأول لقوات العاصفة في ١/ ١/ ١٩٦٥ في الحرم الجامعي بجامعة دمشق. قرأ منتقم البيان وأعجب بصياغته وخاصة أنه ابتدأ بعبارة "إتكالاً منا على الله".. نعم لا رجاء لأحد ولا اتكال على أحد سوى الله. أخذ منتقم يتابع قراءة بيانات العاصفة والتي كانت تتبنى العمليات الفدائية التي كانت الحكومة الإسرائيلية تعلن عن حدوثها وعن الخسائر التي تقع نتيجة لهذه العمليات. أخذ يحدث نفسه بترك مقاعد الدراسة والالتحاق بقوات العاصفة. ذهب إلى معسكر الهامة في إحدى ضواحي دمشق وطلب مقابلة قائد المعسكر تمت مقابلته من قبل منهل شديد وأحمد الأطرش واستمعا لرغبته في الالتحاق بقوات العاصفة فاصطحباه لمقابلة العم أبو علي إياد والذي رحب به ولكنه طلب منه أن لا يترك مقاعد الدراسة وطلب منه الاستمرار حتى حصوله على شهادة الحقوق، وعندها سيكون عطاءه أكبر ويؤتي ثماره. وحضه على

الالتحاق بالتنظيم السري لحركة فتح إلى حين انتهاء دراسته الجامعية وبعد ذلك سيرسل في دورة عسكرية إلى أكاديمية شرشال في الجزائر.

استجاب منتقم لتوجيهات العم أبو علي إياد وأصبح من نشطاء حركة فتح في جامعة دمشق. وشارك في دورة تدريب عسكري نظمها اتحاد طلبة فلسطين فرع دمشق في معسكر الزبداني.

مع بدء الامتحانات النهائية للسنة الدراسية ٦٦/ ٦٧ حدثت حرب حزيران واحتلت إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان بالإضافة إلى سيناء حيث وصلت قواتها إلى قناة السويس حيث رابطت هناك وتم إغلاق القناة في وجه الملاحة البحرية. وحلت 'النكسة' بالأمة العربية.

ذهب منتقم إلى معسكر الهامة وتقدم بطلب الالتحاق بقوات العاصفة، لكن الأخ أبو علي إياد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح والمشرف على معسكر الهامة طلب منه العودة إلى قريته وهنالك سيتم الاتصال به بواسطة الأخ أبو علي المدني

حيث سيكلفه بالعمل وأقنعه بأن وجوده داخل الأرض المحتلة أهم بكثير من التحاقه في الخارج.

عاد إلى مدينة نابلس وذهب إلى عنوان أعطي له من قائد معسكر الهامة والتقى بأبي علي المدني واتفق معه على أن يكون لقاؤهما في محل الأمانة في سوق البصل.

كلف أبو علي المدني منتقم بمراقبة عميل لإسرائيل يجلس على مقهى بالقرب من محل الأمانة ومتابعته ومعرفة مكان سكنه. وطلب منه محاولة الاقتراب منه والاحتكاك به حيث أنه يسعى إلى إسقاط الشباب في براثنه والضغط عليهم للعمل كجواسيس لصالح الأجهزة الأمنية الإسرائيلية وأخذ منتقم يجلس على طاولة بالقرب من الجاسوس.

لاحظ الجاسوس أن هذا الشاب يجلس وحيداً ولا أصدقاء له فحدث نفسه أن يتقرب إليه لعله يكون صيداً سهلاً لم يدر في خلده أنه هناك لمراقبته ومحاولة التعرف عليه وأنه يسترق السمع لما يجري بينه وبين من يجلسون معه من زبائنه العملاء.

وذات يوم حضر منتقم إلى المقهى وطرح السلام على العميل فرد عليه السلام ودعاه للجلوس معه.

استجاب منتقم لطلبه وجلس معه لشرب كوب من الشاي. أثناء تناولهما للشاي استطاع العميل أن يتعرف على منتقم وإلى أي قرية ينتمي. وأشار إلى أن والده كان شريكاً في محل الأمانة. وأن عمه حسين هو من يدير المحل منذ وفاة والده عرفان.

هنا قاطعه العميل وقال:

إنني كنت صديقاً لوالدك ولعمك فايز وكنت شاهداً على عقد إيجار المحل.

تبسم منتقم عندما سمع هذه الكذبة الكبيرة لأنه يعلم أن عقد الإيجار تم بين جده المختار عرفان والحاج أبو عادل. وأن هذا العميل الجالس أمامه لم يكن حينها إلا طفلا صغيراً وربما لم يكن بعد حيث لا يبدو أنه تجاوز الثلاثين عاماً وهذا يدلل على كذب كلامه لأن كل من حضر أو شهد على عقد الإيجار قد انتقل إلى رحمته تعالى فيا له من مخادع كذاب، وهل للجاسوس أخلاق. ولكن منتقم استغل هذه الكذبة وقال له:

حافظ على ود أبيك، أليس كذلك يا عم؟؟

- صحيح وهذا ما أريده وعليك أن تلبي دعوتي لتناول طعام الغداء غداً في بيتي.

استجاب منتقم لذلك حيث أنه وحسب تعليمات الأخ أبو علي المدني مكلف بمعرفة مكان سكنه وهذا سيحقق نجاحاً بمعرفة البيت من الداخل.

أبلغ منتقم الأخ أبو علي المدني بكل ما دار بينهما ودعوته له لتناول طعام الغداء وأنه استجاب ولبى دعوته وسيذهب غداً إلى بيته.

أوصاه أن يكون حذراً وأن لا يشرب الدخان أو النرجيلة لكيلا يضع له الحشيش فيها. وإذا عرض عليه التعامل والتخابر مع العدو عليه أن لا يتسرع في الموافقة ويشعره بخوفه وخشيته وتردده من القيام بهذا العمل، وأن لا يذهب معه إلى المقاطعة إن طلب منه ذلك.

في اليوم التالي ذهب منتقم إلى المقهى والتقى بالجاسوس ثم اتجها إلى البيت حيث قاما بإعداد الطعام معاً وتبين له أنه يعيش لوحده بعد أن هجرته زوجته بعد أن علمت بتعامله مع

العدو الإسرائيلي. كما أنها اصطحبت أبناءها معها للعيش في كنف والدها وإبعادهم عن جو والدهم الخياني.

عند سؤال منتقم للجاسوس عن سبب عيشه وحيداً مع أن الصورة المعلقة على جدار الغرفة تظهران له أسره، بدا الارتباك على وجه الجاسوس ولكنه تدارك الأمر وقال أنها ذهبت لزيارة والديها وستعود الليلة ثم تابع سؤاله لمنتقم.

- أين تدرس وما هو تخصصك؟؟
- في كلية الحقوق بجامعة دمشق.
- وفي أي سنة أنت؟
- إنني في السنة الثالثة.
- ابتسم العميل ووجد الوسيلة للضغط على منتقم لإرغامه على العمل معه.
- هنا سأله عن موعد سفره إلى سوريا.
- في الأسبوع القادم إن شاء الله.

وهكذا أبلغ الجاسوس ضابط المخابرات الإسرائيلية بذلك وطلب منه منع منتقم من السفر لكي يستطيع تجنيده.

صباح يوم الأحد استقل منتقم الباص متوجهاً إلى جسر دامية ولكنه منع من السفر وطلب منه مراجعة مكتب المخابرات الإسرائيلية في نابلس.

عاد إلى نابلس وأبلغ الأخ أبو علي المدني بما حصل معه، فثارت ثائرته وأقسم ليقتلن الجاسوس حسن إلا أن منتقم طلب منه أن يتروى في الأمر إلى حين أن يذهب له ويحدثه بما حصل معه فإن كان على دراية بالأمر فسيطلب منه التعامل معه.

في صباح اليوم التالي ذهب منتقم إلى المقهى وقابل الجاسوس وما أن سلّم عليه حتى بادره بقوله:

- هل منعوك من السفر؟
- قال نعم وطلبوا مني مراجعة مكتب المخابرات في المقاطعة.
- لا تهتم في الأمر وسأذهب معك إلى المقاطعة.
- هل تعرفهم يا عم.
- طبعا وهل هنالك من أحد في نابلس لا يعرفه حسن
- ومن يكون حسن
- أنا يا منتقم أنا عمك حسن

- هنا تأكد منتقم من أن شكوك وظنون أبو علي المدني في محلها وأنه أمام أكبر جاسوس في الضفة الغربية.

ذهب معه إلى المقاطعة حيث توجها إلى مكتب مدير المخابرات والذي رحب بهما ويبدو أنه كان في انتظارهما حيث قال حسن كيف حال الكابتن هارون ها هو منتقم أتى لمقابلتك بناء على طلب الأخوة على جسر دامية.

- أهلا وسهلاً قال الكابتن هارون
- أردف حسن قائلاً:
- منتقم شاب ممتاز ولا علاقة له بالسياسة هدفه الحصول على ليسانس الحقوق ويصبح محامياً كبيراً.
- وأين سيعمل في ظل هذه الظروف، ولكنني سأساعده للعمل في محكمة صلح نابلس بعد تخرجه.
- شكراً قال منتقم.
- ولكن عليك أن تتعاون معنا، تخدمنا ونخدمك وكلنا سيستفيد
- وماذا تريد مني وبماذا أتعاون؟؟

- سيفهمك حسن كل شيء وما عليك إلا أن تفعل ما يطلب منك
- منتقم شاب جيد وعلى كفالتي يا كابتن قال حسن
- حسناً انصرفا وسأرفع اسمك عن الجسر وتتمكن من السفر متى تشاء ولكن عليك القدوم غداً بعد أن تكون قد اتفقت مع حسن على كل التفاصيل.

خرج منتقم بصحبة حسن وذهبا إلى بيته حيث وجده قد أعد طعام الغداء وعرض عليه شرب الخمر مع الغداء إلا أنه رفض كونه لا يجيد الشرب ويخشى أن تشم والدته وجدته رائحته.

اعلم حسن منتقم بأن المطلوب منه معرفة الطلاب الذين لهم علاقة بالمنظمات الفدائية وأن يحاول الالتحاق بإحدى الدورات في معسكر الهامة، لكي يتعرف على عناصر الدورة والمدربين ويعمل على إرسال مخطط لأبنية المعسكر.

- وأين يقع معسكر الهامة؟ سأل منتقم.
- في ضواحي دمشق وعلى طريق بيروت بالقرب من قرية قدسيا وعلى الطريق الرئيسي.

الاختراق

كـان أبـو علـي المـدني قـد طلـب مـن منـتقم أن يتظـاهر بموافقته على العمل معه ويحاول معرفة المتعاملين معه في دمشق وأن يظهر خوفه من أن ينكشف أمره، وأنـه لا يسـتطيع الـتردد على المقاطعة، وطلب أن يكون اتصاله به شخصياً لكـي يبقـى الأمر سراً بينهما. ويرجوه أن لا يعرف أحد بذلك، وأن يرتب له طريقة اتصال يتمكن من خلالها تزويده بكل ما يطلب منه.

في اليوم التالي عاد برفقـة الجاسـوس حسـن إلى المقاطعـة واجتمعا بالكابتن هارون والذي رحب بهما وهب لاسـتقبالهم وقال:

كيف الحال يا منتقم هل تنوي السفر قريبـا، لقـد اتصـلت بالجسر وطلبت منهم رفع اسمك من قائمة المطلوبين والسماح لك بالسفر متى تشاء.

فتح درج مكتبه وتناول منه خمسين ديناراً وقدمها لمنتقم.

– ما هذا؟؟ سأل منتقم.

- مصروف جيب ويدل ما غلبناك وأعدناك عن الجسر وكان هذا بناء على طلب عمك حسن. أنت شاب جيد وحذر وأنا أحب الشباب أمثالك.

- لكن يا كابتن إذا كان هنالك أمر ضروري مع من سأرسل الخبر لأنني لا أستطيع الحضور إلا في العطلة الصيفية.

- بسيطة أنا سأرتب لك ذلك قال حسن.

- اسمع يا منتقم إنني أخاف عليك، ولا أريد أن يراك أحد معي، سأقابلك في حديقة البلدية أو آتي إلى قريتكم متظاهراً بأنني أريد شراء الجبنة.

- وكيف سأرسل لك الأخبار والمعلومات وأتلقى طلباتكم؟؟

- هنالك في سوق الحميدية أول دخلة على يدك اليسار خلف صراف النقود وفي أول سوق الجلد خامس محل على يسارك صاحبه اسمه داود وهو يهودي سوري لا تعرفه باسمك. تذهب إلى هناك وتشتري سترة جلد أو

أي شيء من المحل حيث أن أسعاره رخيصة كـي يجـذب الزبائن. عندما تتعرف عليه وتتأكد مـن أنـه داود. تـترك المعلومـات الـتي تريـد إرسـالها علـى ورقـة وتكـون قـد جهزت ذلك سلفاً وتترك الورقة على الطاولة وكأنك قد نسيتها وهو سيقوم بإيصالها إلينا بطريقته الخاصة، وهكذا يبقى الأمر سراً بيننا واسمك غير معـروف لديـه وتعـود بعد مدة ويقوم هو بإعطائك ردي مكتوباً.

- أما في عمان فهنالك بالقرب من سينما الحسين مقهى أبي شـلبك تسـأل عـن عـزام أو عبـد الـرحمن وهمـا دائمـاً متواجـدان وإن كـان أحـدهما غائبـاً فلابـد أن يتواجـد الآخر. وهما لديهما طريقتهما للاحتكاك بكل من يحضر ويجلس في المقهى.

- عندما تتعرف عليهما تسألهما: هـل سـتعودان إلى نـابلس هذا الأسبوع فإن قالا إن شاء الله غداً أو بعد غد تعـرف أنهما هما المعنيان، فتـدعوهما لمشـاهدة فـيلم السـهرة في سينما الحسين فإن لبى دعوتك أي منهما فهذا تأكيد أنـه

هو وخاصة إن سبقك واشترى ثلاث تذاكر للسينما ولن يسمح لك بدفع ثمن تذكرتك.

وإن اصطحبك إلى محل حبيبه للكنافة واشترى لك وقية كنافة نصف ناعمة ونصف خشنة دون أن يسألك فتأكد ١٠٠٪ أنه هو من تريد. تبلغه بكل شيء تريده وهو لن يسألك عن اسمك أو بلدك وإياك أن تعطيه اسمك وانتحل أي اسم تشاء.

- حابكها جيد يا عم حسن.

- أحسن ما نقع في مطب علينا الحذر والمحافظة على من يتعامل معنا فالأمر ليس سهلاً وفيه مخاطرة، وكل ذلك كي لا يتصادف وجود شخص غير معني ويحمل نفس الاسم فنتورط معه ولكن بهذه الطريقة لن نقع في أي خطأ.

ضحكا معا وتفارقا على أن يلتقيا صباح يوم الجمعة في الجامع الكبير.

ضحك منتقم وقال جواسيس ونصلي في الجامع.

- على عيون الناس.. افهمها يا ذكي.

ذهب منتقم والتقى الأخ أبو علي المدني وأبلغه بكل ما حصل فطلب منه أن يسافر غداً صباحاً لأنه سيقوم بقتل حسن قبل صلاة الجمعة ولن يسمح له بتدنيس الجامع.

وضع منتقم يده في جيبه وأخرج الخمسين ديناراً وقال: خذ هذه يا أخ أبو علي مصروف من الكابتن هارون. اختطف أبو علي الخمسين ديناراً وقال والله ما معي إلا شلن سلم على العم أبو علي إياد واطلب منه أن يعطيك بدلاً عنها.

سامحك الله يا أخ أبو علي، هذا مال نجس وحرام ولا أريده، لم أتعب في تحصيله والحمد لله مستورة ومعي من المال ما يكفيني.

في صباح اليوم التالي ذهب منتقم إلى المقهى وودع حسن وقال له:

إنني مضطر للسفر حيث أن هنالك دورة امتحانات ستعقد لتعويض ما فات الطلاب نتيجة للحرب.

- بالسلامة واريد أن أسمع منك أخباراً جيدة.

- بأسرع مما تتوقع يا حسن.

سافر منتقم إلى عمان ولقي ترحيباً به على الجسر وتسهيلاً لمروره.

ذهب إلى مقهى أبو شلبك وهنالك سمع شاباً ينادي على زميله: هيا يا عزام.

- ماذا تريد يا عبد الرحمن.

- بدء عرض الفلم.

ذهبا معا إلى السينما فتبعهما منتقم دون أن يتكلم معهما واشترى تذكرة لدخول السينما وحجز مقعدا خلفهما.

أثناء عرض الفلم كان يستمع إلى حديثهما فقال عزام لزميله: لقد أرسلوا لي من نابلس خبراً يقول بأن هنالك عصفور سيحضر لطرفنا خلال هذا الأسبوع وربما اليوم أو غداً لذا علينا أن نتناوب في الجلوس على المقهى لانتظاره.

أدرك منتقم أن الحديث يدور حوله وخشي أن يكونوا قد أرسلوا لهما صورته أو أوصافه فغادر السينما قبل أن ينتهي عرض الفلم فقد حصل على ما يريد وتعرف على العميلين من دون أن يثير انتباههما.

توجه إلى مكتب سفريات أبي الهول واستقل سيارة متوجهة إلى دمشق. وصلها ليلاً فتوجه مباشرة إلى معسكر الهامة وطلب مقابلة العم أبو علي إياد. قابل على الفور العم أبو علي إياد وأبلغه تحيات الأخ أبو علي المدني وعن عزمه قتل الجاسوس حسن بعدما تأكد له من أنه عميل ويقوم بتجنيد عملاء للعدو الصهيوني عن طريق إيقاعهم في شباكه والضغط عليهم بأساليب رخيصة.

أبلغ العم أبو علي بكل ما حصل معه وأنه أعطى الخمسين دينار التي استلمها من الكابتن هارون للأخ أبو علي المدني حيث كان مفلساً وليس معه إلا شلن.

ضحك العم أبو علي وقال:

يا غضيب هل تريد أن أعوضك عنها، لماذا أعطيته إياها الا تعلم أنه يبلع النقود بلعاً دون أن يمضغها.

- والله يا عم لو تنفضه نفضاً لا يرن غير صوت الشلن

- ضحكا معاً وقال العم أبو علي إياد

- الم تسمع الخبر

- ماذا

حاول الأخ أبو علي المدني قتل حسن ولكنه جرح ونجا من الموت نتيجة الإسعاف السريع الذي تلقاه من الصهاينة، لقد نقلوه بطائرة إسعاف إلى مستشفى رام بام وتم إنقاذ حياته.

- نجا الكلب ولكن ماذا سنفعل بعملائه في عمان ودمشق؟
- أي عملاء تقصد؟؟
- لقد نسيت أن أخبرك أنني تعرفت على اثنين من عملاء حسن في عمان دون أن يعرفاني وهما متواجدان دائما في مقهى أبو شلبك بعمان ويشكلا حلقة وصل للعملاء العاملين في الأردن، وأخشى أن تصدر إليهما التعليمات بالهرب بعد محاولة اغتيال حسن وقد توجه إليّ أصابع الاتهام في المشاركة بمحاولة القتل بإعطاء معلومات وكشف أمر حسن. كما أن له عميلاً هنا في سوق الجلد بجوار سوق الحميدية وهو يهودي سوري واسمه داوود.

تناول العم أبو علي إياد سماعه الهاتف فور سماعه ما قلت واتصل بالمساعد أول أبو المجد والذي يعمل في وزارة الداخلية السورية وأبلغه ما سمع من معلومات عن العميل داوود وقال للمنتقم هيا بنا.

- إلى أين.
- إلى عمان، ألم تقل أنك قد تعرفت على العميلين
- نعم

استدعى العم أبو علي مرافقه مصباح والحاج سيد وطلب منه أن يجهز سيارته للسفر فورا إلى عمان، طلب العم أبو علي من المدرب حسام مرافقته إلى عمان وطلب منه أن يرتدي ملابس مدنية وأعطاه مسدس بريتا مجهز بكاتم صوت.

انطلقوا عبر الحدود الأردنية من منطقة الحمراء ووصلوا إلى عمان مع تباشير الصباح نزل العم أبو علي في بيت أخته في جبل الحسين وطلب من مصباح وحسام مرافقة منتقم إلى مقهى أبو شلبك وانتظار العميلين وخطفهما حال حضورهما في الساعة الثامنة صباحاً حضر عبد الرحمن إلى المقهى وجلس بالقرب منهم.

أشار منتقم لمصباح بأن هذا هو أحد العميلين فقرروا انتظار الآخر ولكنه لم يحضر حتى الساعة العاشرة وهم عبد الرحمن بالمغادرة بعدما حضر شخص وهمس في أذنه.

تتبع مصباح وحسام عبد الرحمن وأبقيا منتقم على المقهى لعله يرى عزام حال حضوره، فاتجه عبد الرحمن إلى سفريات الجسر وركب في إحدى السيارات.

صعد حسام إلى السيارة وجلس بجواره وطلب من سائق السيارة أن يتحرك إلى جبل الحسين. احتار السائق ولكن حسام سحب مسدسه وهدد به عبد الرحمن وقال للسائق هيا تحرك هذا جاسوس إسرائيلي.

ما إن سمع سائق السيارة هذه العبارة حتى استجاب لأمره وانطلق إلى جبل الحسين يتبعهم مصباح بسيارته وتوقف بالقرب من بيت أخت العم أبو علي إياد.

ثم نقل عبد الرحمن إلى سيارة مصباح وتم إبلاغ العم أبو علي بأن أحد الجاسوسين قد تم اختطافه وها هو في السيارة.

صعد العم أبو علي إياد إلى السيارة وانطلقوا باتجاه الحدود السورية عبر الحمراء حيث اجتازوها متوجهين إلى معسكر الهامة.

خلال الطريق أخذ حسام يسأل عبد الرحمن عن زميله عزام فاعترف بأنه قد عاد إلى نابلس بناء على تعليمات تلقاها من هناك وأنه كذلك أبلغ بالأمر ولكن في وقت متأخر.

- هل من همس في أذنك هو من أبلغك الأمر، سأله حسام
- نعم يا سيدي.
- هنا قال العم أبو علي ستعود يا حسام غدا مع مصباح وتحضراه إلى الهامة ولا تعودا إلا به.

وصلوا إلى معسكر الهامة وجرى التحقيق مع عبد الرحمن والذي اعترف بعمالته وارتباطه بالمخابرات الإسرائيلية وأنه قد تم تجنيده بواسطة والدته والتي تعمل في مكتب المخابرات الإسرائيلية في مقاطعة نابلس عاملة تنظيفات وأنه يتقاضى خمسة عشر دينار أردني شهريا عدا عن المصاريف الأخرى كالإقامة والتنقلات حيث تغطى بناء على كشف يقدمه عزام، أما راتبه فإنه يسلم لوالدته في نابلس حيث أن لديه أخ مريض وبحاجة للعلاج الدائم وقد تم الضغط على والدته من خلال إرسال ولدها للعلاج في مستشفى رام بام وبمساعدة الكابتن هارون حيث عولج مجاناً ولكنه بحاجة دائمة لشراء الأدوية.

كما اعترف بأن عزام هو مسؤول الاتصال في عمان وأنه سافر عدة مرات إلى سوريا للقاء داوود وإحضار ما لديه من معلومات لإرسالها إلى إسرائيل.

اتصل العم أبو علي بـأبي المجـد يسـأله مـاذا تم بخصـوص داوود فأبلغه بـأنهم فشـلوا في إلقـاء القـبض عليـه لفـراره إلى إسرائيل عبر لبنان.

قام أبو علي بتعميم الخبر على القواعـد الفدائيـة في لبنـان وأعطيت أوصافه حيـث تم إلقـاء القـبض عليـه أثنـاء محاولتـه التسلل إلى الأرض المحتلة برفقة شاب اسمه يوسف بالقرب من المنارة وتم تسليمه للضابطة الفدائيـة بحضـور المسـاعد أول أبـو المجد من الداخلية وأثناء التحقيق معه اعترف بتخابره مع العدو الصهيوني.

فوجئ العم أبو علي إياد عندما شاهد يوسف وعلـم بأنـه يعمل مع الصهاينة حيث أنه من الكـوادر الرئيسـية في الأرض المحتلة وكان يعتمد عليـه في تـنقلات الأخ الـدكتور أبـو محمـد (اسم كان يطلق على الأخ ياسر عرفات).

لقد اختفى يوسـف منـذ ثلاثـة أشـهر وظـن الجميـع أنـه استشهد أو تم أسره.

اعترف يوسف لأبي علي إياد بأنه قد تم إسقاطه مـن قبـل

العميل تيسير في مدينة البيرة حيث قام بتصويره في أوضاع مشبوهة وهددوه بأنهم سيقوموا بإرسالها إلى العم أبو علي إياد فخشي من العقاب ومن عصا العم أبو علي إياد بكى ندماً وطلب من العم أبو علي إياد أن يعطيه فرصة لكي يعود كما عهده مناضلاً صلباً نقيا معطاء. وأنه جاهز للقيام بأي عملية يغسل بها نفسه ويطهرها مما لحق بها من دنس كلفه العم أبو علي إياد بالعودة إلى مدينة البيرة وقتل العميل تيسير ورفيقته فوعد بتنفيذ الأمر والبقاء للعمل في الداخل وأنه لن يعود وسيبقى يناضل حتى يستشهد.

تم حفر قبر ليوسف في أعلى جبل الهامة وأطلقت الأعيرة النارية وظن الجميع أن يوسف قد قتل فيما عدا مصباح وحسام حيث اصطحباه إلى عمان حيث غادرها إلى الضفة الغربية وبعد أسبوع من وصوله إلى رام الله قام بقتل العميل تيسير وصاحبته حيث وجدت جثتاهما داخل سيارة الفوكس فاجن العائدة لتيسير بجوار شركة عرق رام الله على طريق القدس.

كان والد تيسير شيخاً جليلاً ومن المواظبين على الصلاة في المسجد وكان تيسير ولده الوحيد فرفض استقبال جثة ولده

في بيته ولم يذهب للصلاة عليه في الجامع ولم يشارك في تشييع جثمانه ولم يفتح له بيت عزاء لعمالته وتخابره مع العدو ضد أبناء وطنه وأعلن براءته منه.

بقي يوسف يعمل في قواعد الداخل حتى عام ١٩٧٦ حيث طلب منه الخروج إلى لبنان حيث فوجئ جميع زملائه من أنه ما زال حياً فحدثهم باتفاقه مع العم أبو علي إياد وعودته للعمل داخل الأرض المحتلة.

أصرّ منتقم على الالتحاق في دورة عسكرية وعبثاً حاول العم أبو علي إياد إقناعه في الحصول على ليسانس الحقوق فكان جوابه وهل ستنفعني الشهادة حال استشهادي. لقد اتخذت قراري وسأكون فدائياً ضمن صفوف قوات العاصفة فإما الشهادة أو النصر.

طلب العم أبو علي إياد من الأخ علي حجاج قائد معسكر الهامة إلحاقه في الدورة وطلب من حسام أن يعتني بمنتقم ويعلمه فنون القتال ويدربه تدريباً جيداً.

التحق منتقم بدورة الصاعقة والتي أشرف عليها الرائد خالد وتآخى مع شاب اسمه مغير.

اعتقد جميع أفراد الدورة أنهما أخوان لوجود شبه شديد في ملامحهما بل وفي حديثهما وتصرفاتهما، ولم يكونا يفترقان أبداً.

كانا على خلق ومن أنشط شباب الدورة وأثناء فراغهما كان يجمعان الملابس المتسخة فيغسلانها ويقومان بكيها ووضعها في صندوق خاص سمي من قبل أفراد الدورة بصندوق العهدة وكانا يضعانه في مهجعهما قرب فراشهما.

في مساء كل خميس كانت الدورة تتجمع للذهاب إلى حمام الملك الظاهر بيبرس بجوار الجامع الأموي للاغتسال وإزالة أوساخ أسبوع كامل استعداداً لصلاة الجمعة وكان الجميع يتوجهون إلى منتقم ومغير لاستلام ما يتوافر لديهما من ملابس وغيارات داخلية فيقومان بفتح صندوق العهدة ويوزعان كل ما يتوفر فيه لكل من يلزمه ويشترطان إحضار الملابس المتسخة بعد استبدالها لكي يكررا غسلها وكيها لكي يبقى الصندوق عامراً.

أحبهما الجميع وأصبح كل من لديه ملابس متسخة أو ممزقة يحضرها لهما بدلاً من إلقائها في القمامة فيقومان بغسلها وكيها وإصلاحها لتكون جاهزة يوم الخميس من كل أسبوع.

عندما يأتي دورهما للعمل في المطبخ يعلم الجميع أن هـذا اليوم هو يوم العدس المجروش، حيث كانا يجمعان ما يتبقى من الخبز بعد وجبات الطعام ويقطعانه ويحمصانه ويحضـرانه ليـوم العدس، فيطبخـان قـدراً كـبيراً مـن العـدس ويوزعـان الخبـز المحمص على الجميع مع رأس بصل لكل عنصر.

كان الطفل لؤي يحضر لهم البصل مـن بسـتان والـده أبـو أحمد السوري. لقد تعلق لؤي بالفدائيين وكـان كلمـا عـاد مـن مدرسته يأتي إلى المعسكر ويقضي يوم الجمعة داخل المعسـكر. وقد تصادف وجوده في المعسكر يوم قصفه إثـر عمليـة ميـونخ عام ١٩٧٢ فاستشهد مع من أحب من الفدائيين والتحـق بمـن كان يذكرهم من الذين قضوا نحبهم قبل ذلـك وخاصـة منـتقم ومغير واللذان استشهدا في معركة الكرامة.

في ختام الدورة وكما جرت عليه العادة تمت مسيرة الزبـداني وسط الثلوج وتم فقدان مجموعة أبي هاني والتي كانت تضم منتقم ومغير وخمسة آخـرين وضـاعوا وتـاهوا وسـط الثلـوج المتسـاقطة ولولا التصاقهم ببعضهم أثناء المسير لفقدوا بعضهم بعضاً.

ما أن أصبح الصباح حتى توقف تساقط الثلوج ووجدوا أنفسهم في بحر من الثلوج ولم يكن معهم طعام سوى رغيف خبز وقطعتي جبن صفراء احتفظ بهما منتقم ومغير فقاما بتقسيم الرغيف وقطعتي الجبن إلى ثماني قطع وأعطيا كل فرد حصته والتي هي عبارة عن لقمة واحدة.

في الساعة الثانية عشرة ظهرا استطاع الرائد خالد من العثور على المجموعة وسط الثلوج قرب بلودان وعاد بها إلى التكية حيث تجمع أفراد الدورة.

قام الرائد خالد بمعاقبتهم بالنزول في مياه سد التكية الباردة وكان منتقم ومغير أول القافزين إلى المياه رغم برودة الجو.

بعد المسيرة تم اختيار أربعة وأربعين عنصراً لإرسالهم في دورة صاعقة إلى جمهورية مصر العربية وضمت منتقم ومغير والذين حصلا على المركز الأول في الدورة أثناء انتظار الدورة للسفر منح جميع أفرادها إجازات لوداع ذويهم والحضور قبل الأول من شباط استعداداً للسفر.

بقي منتقم في المعسكر نظراً لوجود أهله وأقاربه في الضفة الغربية وعدم استطاعة مغير أن يقنعه للذهاب معه إلى مدينة الزرقاء حيث يقطن ذووه وليقضيا الإجازة معاً. وأمام إصرار منتقم على البقاء في المعسكر قرر مغير عدم الذهاب وأن يقضي إجازته مع منتقم في المعسكر.

انكشاف السر

في صباح يوم الخميس حضر إلى المعسكر رجل يدعى الحاج حسين وتبين أنه عم المنتقم وطلب مقابلة العم أبو علي إياد، وعندما قابله سأله عن ابن أخيه منتقم وأنه حضر لرؤيته. رحب العم أبو علي إياد بالحاج حسين وأرسل حسام لإحضار منتقم لمقابلة عمه.

عاد حسام برفقة منتقم ومغير وما أن رأى عمه الحاج حسين حتى سلم عليه وقبل يده. احتضنه عمه والدموع تتساقط من عينيه وأخذ يردد عبارات تنم عن لوم لابن أخيه.

- لماذا شغلت بالنا عليك يا منتقم، أمك لا تنام الليل وهي تسأل أين منتقم، كان الأجدر بك أن تبلغنا عن التحاقك بالعمل الفدائي فهذا أمر يشرفنا، على الأقل لو أجبت على رسائل أمك لما انشغل بالها. لقد أرسلت لك ما يقارب عشر رسائل ولم تتلقى أي رد عليها لماذا يا منتقم ألم تصلك الرسائل يا منتقم؟؟

- هون عليك يا عماه فقد دعاني الوطن لأداء واجبي ولبيت النداء.
- والجامعة يا بني، أكمل دراستك واحصل على الشهادة والتحق حيثما تريد، حرام عليك أن تضيع السنين التي درستها، فأنت متفوق في دراستك والأول على زملائك والكل يشهد لك بذلك.
- لا عليك يا عماه سأكون دائما كما عهدتني ومميزاً، وعندما أنال الشهادة بإذن الله لن أكون بحاجة إلى الشهادة الجامعية.

حاول العم أبو علي إياد مساعدة الحاج حسين وتدخل يؤيد ما طلبه من ابن أخيه إلا أن منتقم قال:

- هل نسيت دم جدي إسماعيل والذي قضى نحبه برصاص البوليس الإنجليزي في القدس. ودم جدي علي أيضاً.
- لا يا بني لن أنسى ذلك وما نسيته يوما وعندما أسميتك منتقم إنما كان ذلك من أجل أن تثأر لجدك وأبيك.
- نعم يا عماه، سأثأر لجدي ولكن أبي موضوع آخر، قضاء وقدر، والوطن يحتاج لرجاله ويريد وحدة أبنائه ويدعو

للتسامح والصفح لكي تتوطد أواصر المحبة بين أبنائه.

- لم يدر في خلد المستمعين لحديثهما أن هنالك قصة لا يعلمها إلا المتحاوران وحسام حيث كان منتقم قد رواها له ذات ليلة وهما يسهران على حراسة المعسكر ويجلسان حول موقد النار حيث كان منتقم يجفف ملابسه بعد أن عبر خزان سد التكية بعد مسيرة الزبداني.

طلب لهم العم أبو علي إياد إبريقاً من الشاي وبعد أن تناولوا الشاي استأذن الحاج حسين بالانصراف ووجه سؤال للعم أبو علي إياد إن كان يستطيع اصطحاب ابن أخيه في إجازة للأردن حيث تنتظره والدته في عمان.

وافق العم أبو علي إياد وطلب من حسام أن يكتب لمنتقم إجازة مدتها أربعة أيام حيث لن تغادر الدورة إلى القاهرة قبل الأول من شباط موعد عودة الدورة السابقة.

طلب مغير من العم أبو علي إياد أن يمنحه إجازة لكي يتمكن من استضافة منتقم وعمه الحاج حسين في بيته في مدينة الزرقاء.

سُرّ أبو علي إياد لذلك وطلب من حسام أن يكتب إجازة لمغير أيضاً.

وقام العم أبو علي إياد بصرف مائتي ليرة سورية لكل منهما.انطلقا مع العم الحاج حسين إلى مكتب تكسيات أبو الهول يرافقهما حسام والذي ذكرهما عند وداعهما أن عليهما العودة يوم الاثنين.

بعد أن ودعهما ذهب حسام إلى حمام الملك الظاهر بيبرس وأمضى يومه في الشام وقام بزيارة أصدقاء له في سكن الطلبة الجامعي ولم يعد إلى المعسكر إلا في منتصف الليل.

وأثناء تفقده للحراسة لفت انتباهه وجود شاب في البستان متكئاً على شجرة الجوز بجوار قناة المياه الجارية وسط المعسكر. أخذ يقترب منه فسمعه يجهش في البكاء ودموعه تتساقط بغزارة على صفحه الماء وتختلط بالمياه الجارية، وما أن اقترب منه حتى أحس الشاب باقتراب حسام منه فرفع رأسه ونظر إليه، وهنا أصيب حسام بالدهشة عندما رأى منتقم يقف أمامه باكيا.

وضع يده على كتفه وقال:

ما الـذي عـاد بـك، ألم تسـافر مـع عمـك ومغـير لرؤيـة والدتك؟؟ متى عدت ولماذا عدت بهذه السـرعة؟؟ مـا الـذي حصل وهل هنالك سبب لـذلك! إن دموعـك تـوحي بوقـوع مصيبة ما!!

نعم يا أخ حسام، قالها منتقم وهو يجهش في البكاء وأردف قائلاً:

يا ليتني لم أذهب، ليتني استشهدت قبل أن أذهب مع عمي ومغير إلى الزرقاء.

أخذ حسام يهدئ من روعه ويقـول لـه لا عليـك اذهـب واغسل وجهك والحق بي إلى غرفة العمليات لنتـدارس الأمـر معاً ولأعرف ما حصل، هيا يا رجل.

ذهب حسام إلى غرفة العمليات واستلقى كعادتـه علـى تختـه الرمل التي تتوسط الغرفة حيث كان يحلو له النوم على الرمل.

دلف منتقم إلى الغرفة وهو لا يزال يتنهد وجسمه يرتجـف وصدره يعلو ويهبط.

طلب منه حسام أن يستلقي بجانبه ويلزم الهدوء ففعل، ووضع حسام ذراعه كوسادة وألقى منتقم رأسه على ذراعه وكان بحاجة إلى من يفضي إليه بهمومه والحصول على الهدوء والسكينة.

نظر إليه حسام وقال: أين بسمتك الحلوة ما الذي حصل قل لي وفضفض عن نفسك ودعني أقاسمك همومك.

قال منتقم

ذهبنا إلى الزرقاء وتوجهنا إلى منزل مغير حيث أدخلنا إلى غرفة الضيوف وذهب لإعلام والديه بحضورنا ولكن عمي ما أن رأى الصورة المعلقة على جدار الغرفة حتى صاح كمن لدَغته أفعى وصاح في وجهي، إلى أين أحضرتني يا منتقم؟

- إلى بيت أخي مغير يا عماه.
- ومن يكون هذا؟؟ وأشار إلى الصورة.
- ربما تكون لوالده، لست أدري فهذه أول مرة أحضر بها إلى هنا
- أتعلم من يكون هذا يا منتقم، إنه فايز إنه من قتل أباك أتريد أن نحل ضيوفاً على قاتل أخي سامحك الله، لماذا

أسميتك منتقم؟ ألم يكن ذلك من اجل أن تأخذ ثأرك منه، وها أنت تحضرني إلى بيته لأكون ضيفاً عليه.

- خرج هائماً على وجهه وعبثا حاولت اللحاق به ورجوته أن يتوقف لنتفاهم كيف نواجه الأمر ولكنه كان في ثورة غضب ولا مجال للاستماع والتهدئة وتحكيم العقل بما يجري.

استوقف سيارة واستقلها دون أن يلتفت إلي أو يقول لي في أي فندق أو أي بيت تنتظرني أمي.

أصبت بالذهول وتوقفت وسط الشارع شارد الذهن لا أدري ماذا أفعل أمام هذا الموقف. لم أستفق من وضعي هذا إلا على صوت مغير وهو يهزني ويسألني:

- ما الذي حصل أين ذهب العم الحاج حسين؟

احترت هل أقول له ذهب إلى غير رجعة ولم أعد في شوق لرؤيته، وإنني ربما لن أراه بعد هذا اليوم، مع أنه كان لدي رغبة قوية لرؤية أمي والتي اشتقت إليها كثيراً وقد يكون هذا آخر لقاء فنحن مشاريع شهادة. إنه ما زال حاقداً على فايز رغم مرور ما يزيد على اثنين وعشرين عاماً على الحادثة التي أودت بحياة والدي.

وهكذا عرفت أن والد مغير هو فايز وأن مغير هو عرفان. أدركت ذلك في لحظة وومضة سريعة ولكن محبتي لمغير زادت لما رأيته في عينيه من حيرة لعدم معرفته لما حصل.

إن فايز والد مغير كان بمثابة الأخ لوالدي وقد رضعا ونشئا معاً وكان لهما طموح واحد كما أن والدته هي نعمة ابنة عمة والدي والتي لم أراها في حياتي ولكنني سمعت الكثير عنها من جدتي ووالدتي وقد أحببتها دون أن أراها.. إن مغير أخي وابن عمي وابن خالي وابن خالتي هو قطعة مني ولن يفرق بيننا أحد. لقد شاء الله أن نعرف بعضنا ويحصل لقائنا دون سابق تخطيط وها أنا أقع الآن في مازق لا أدري كيف أخرج منه.

- لقد حدثتني سابقاً عن قصة فايز ووالدك ولكن لم يخطر ببالي أن مغير ابنه رغم معرفتي بأن اسم مغير الحقيقي هو عرفان على اسم جدك المختار عرفان ولكن ألم تسأله سابقا عن بلده واسمه وعائلته؟ سأل حسام
- لا لم أسمح لنفسي بذلك لأن طبيعة عملنا لا تسمح بمثل هذه الأسئلة والتي قد تعرض سائلها للشبهة. إنني لم أختر

اسماً حركياً وبقـي اسمـي منـتقم رغـم أن جـدتي اسـتبدلت اسمي في شهادة الميلاد بيحيى وكانت تناديني به. لم تدع مكانـاً للحقد في قلبي وعلمتني الصلاة وحفظتني القرآن وزرعت بـي مكارم الأخلاق وحب الناس والتسامح. كانت تمحو كـل مـا يحاول عمي حسين من زراعته في قلبي مـن حقـد وغـل علـى فايز وعياله. وها هو مغير يحمل اسم أبي عرفان.

- إذا ما الذي يبكيك ويقلقك يا منتقم وأنت صاحب الحق ولا تسعى للثأر وعفوت قبل لقاء قاتل أبيك وابنه؟؟
- عندما وقفت وسط الشارع شارد الـذهن لم أسـتفق إلا بعـد أن هزني مغير وقال ماذا دهاك أين عمك الحاج حسين؟؟
- احترت بمـاذا أجيبـه وكـذبت عليـه عنـدما قلـت لـه أن تصريحه ينتهي غداً ولم يتمكن مـن البقـاء حيـث تنتظـره والدتي في الفندق بعمان وخشي عليهـا أن تقلـق لطـول غيابه حيث لم يخبرها بأنه ذاهب إلى دمشق.
- قررت أن أذهـب مـع مغـير لكـي أتعـرف علـى والديـه فعدت معه إلى المنزل. وعندما قابلت والدته نعمـة قبلـت

يدها وهي بلا شعور جذبتني وقبلتني كما تفعل مع ابنها مغير فانهمرت الدموع من عينيها وقالت: إنك تذكرني بابن خالي عرفان رحمه الله والذي أسميت ابني باسمه كما أن اسم جدي المختار عرفان.

- كدت أحتضنها وأبلغها أنني ابن عرفان ولكنني تمالكت نفسي وفجأة دخل خالي فايز واحتضنني وقبلني. أحسست أن والدي أمام ويحتضنني وحمدت الله أنني لم أكن له يوماً إلا الحب والشوق لرؤياه. ها أنا أمامهم ولكنني لا أجرؤ على أن أبوح بسري له.

- تخيلت ما كانت ترويه جدتي لي من أنها كانت تعطيه الملاليم له ولوالدي وهي ما تساوي التعريفة في أيامنا هذه. كم هي عظيمة جدتي التي تمكنت من تربيتي وتنشأتي تنشأة صالحة وتنير لي الطريق.

- إذن لماذا أنت قلق؟

- أخشى أن لا يتقبل مغير الأمر وأن تساوره الشكوك في حبي له بعد أن عرفت حقيقته وأنه ابن قاتل أبي. لكنه لا يعلم مدى حبي لوالديه قبل أن أتعرف عليهما.

- لا عليك طالما أنك صاحب الحق ولست بحاقد ولا بطالب ثأر وتسعى للحفاظ على المحبة والألفة، فالأمر كله بين يديك وأنت من يملك الحل. اذهب واصنع لنا إبريقا من الشاي بل دلة قهوة نشربها مع مغير، هيا اذهب وقل لمغير أن يحضر إلي.
- حاضر يا أخ حسام.

خرج منتقم وما هي إلا لحظات حتى كان مغير يدخل غرفة العمليات وبدأ الحديث قائلاً:

يا أخ حسام منذ أن عدت مع منتقم وأنا في حيرة من أمره ولا أدري ماذا حصل رغم أنه كان مسروراً بلقاء والديّ إلا أنه وأثناء عودتنا لم ينقطع عن البكاء وكلما حاولت الاقتراب منه كان يقول: أرجوك ابتعد عني، اتركني لوحدي فبقيت أراقبه حتى لحظة حضورك ومشاهدتك لما هو عليه.

كان مغير قد ولد في مدينة الزرقاء وعاش فيها طفولته حتى أضحى شاباً ولم يكن يعرف أنه من قرية الشهامة وأن هنالك أمراً جللاً قد حدث وكان سبباً في مغادرة والديه

لقريتهم واللجوء إلى مدينة الزرقـاء، والتحـاق والـده بـالجيش العربي الأردني.

بعد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية "التوجيهي" التحق بكلية الحقوق في الجامعة الأردنية وكان والده يقول لـه: ادرس جيداً وكن متفوقاً لتصبح قاضيا عـادلاً وتحكـم لـي بـالبراءة. ويحتار مغير لما يسمعه من والده ولا يعرف ما هي التهمة والتي يسعى والده لإثبات براءته منها.

- اجلس يا مغير فإنني اريد أن اطرح عليـك أمـراً، ولكـن أخبرني لماذا عدتما بهذه السرعة رغم أنني قد كتبت لكمـا إجازة حتى صباح يوم الاثنين، وأين ذهب الحاج حسـين وهل رأى منتقم والدته؟؟

لا لم يرها ولا أدري أين ذهـب عمـه، فمـا أن وصـلنا إلى بيتنـا وأدخلتهمـا غرفـة الضـيوف، وذهبـت لإبـلاغ والـدي بحضورهما، عدت فلم أجدهما، وخرجت أبحث عنهما خـارج البيت فلم أجد إلا منتقم، يقف وسـط الشـارع شـارد الـذهن وعيناه مغرورقتان بالدموع. سـألته مـا بالـك يـا منـتقم، وأيـن ذهب عمك الحاج حسين نظر إلي وقال: لا عليك، لقد ذهـب

إلى عمان، لأنه سيسافر صباح الغد إلى الضفة الغربية. أنه لا يستطيع أن يتأخر حيث أن تصريحه ينتهي غداً ويخشى إن تأخر أن يمنع من العودة. فقلت له لم العجلة كان بإمكانه أن ينتظر حتى يتعرف على والدي ونتناول طعام الغداء. ونذهب معاً لإحضار والدته من الفندق ونمضي الليلة معاً، ويستطيع السفر صباحاً من الزرقاء إلى الجسر حيث أن المواصلات متوافرة.

فأجابني، أن عمه لم يرغب في ذلك وأنه قد غضب منه لأنه لم يستجب لطلبه منه العودة إلى متابعة دراسته والحصول على ليسانس الحقوق، وحلف أنه لن يدعه يرى والدته.

هذا ما قاله منتقم ولم ارد أن أزعجه، واستفسر منه أكثر من ذلك، رغم أنني غير مقتنع بما قاله، وأشك أن هنالك سببا لا أعلمه.

عاد معي إلى البيت وقد بدا عليه السرور والفرح خاصة عندما قابل والدتي والتي احتضنته كما تحتضنني مما هون عليه عدم رؤيته لوالدته.

عدنا إلى دمشق، ومع الغروب وصلنا إلى المعسكر، حيث توجه إلى البستان وطلب مني أن لا أتبعه وبقي هنالك حتى حضورك.

ألم تحاول معرفة السبب الحقيقي لما حصل؟

لقد رفض أن يقترب منه أحد، فلم أشأ أن أزعجه، ونظراً لما هو عليه لم أثقل عليه، وبقيت أراقبه عن بعد، وقد حاولت أن أقترب منه، فنهرني وقال لي أرجوك دعني وشاني.

لقد استغربت هذا التصرف ولا زلت في حيرة من أمري، فليس منتقم ممن يقسو بكلامه على أحد، ولم أعهد به مثل هذا التصرف، فهو دائما يبتسم ويدخل السرور لقلوب الحضور، ولكل من حوله. كان يمسح دمعه باستمرار وطوال الطريق لم يتوقف عن البكاء. وبقي صامتا إلى أن وصلنا إلى المعسكر، فذهب إلى البستان واجهش بالبكاء، ورجاني ان لا الحق به. حقيقة أنني محتار في أمره، وليتني أستطيع مساعدته، لأنني في ضيق شديد لعجزي عن معرفة سبب حزنه وهمه، واقف عاجزاً عن مساعدته، ومشاركته ألمه وحزنه. ولكن ما السبيل إلى ذلك وهو يأبى أن اقترب منه، إنه أخي ووضعه صعب على نفسي.

- ما هو شعورك لو أنك وجدت قاتل أبيك يقف أمامك
- ماذا تقول يا أخ حسام؟؟

- لو أن أباك قتل في ظروف غامضة، واتهم شخص بذلك، وبعد سنين قابلت هذا الشخص ماذا كنت ستفعل وكيف ستتصرف؟؟ نظر مغير إلى الأخ حسام وعيناه تكادان تخرجان من مقلتيهما وصاح أخ حسام أنت تتحدث بألغاز لا أفهمها أرجوك أن تصارحني ما الأمر هل هناك أمر لا أعلمه أرجوك لا تعذبني.
- نعم يا مغير، يبدو أن هنالك الكثير مما لا تعلم، وهل تعلم من أي بلد أنت؟
- قال نعم من فلسطين
- ومن أي قرية في فلسطين؟
- حقيقة لا أعلم بالضبط، ولكن قريتي تقع بالقرب من نابلس، ولم أذهب إليها في حياتي. أعتقد أنها تدعى قرية الشهامة.
- ألا تعلم أن منتقم من قرية الشهامة؟
- هل حقاً هو من قرية الشهامة؟
- نعم إنه منها وهو من عائلة الشيخ حامد.

- إنني من عائلة الشيخ حامد.
- أعرف ذلك منذ التحاقكما في المعسكر حيث كتبت ذلك في السجل ولم اشأ ان أبلغكما بذلك ظنا مني أنكما تعرفان ذلك، لما كنت ألمسه من حب بينكما، وتشابه في الهيئة والخلق.
- إذا نحن أقارب وأبناء عمومه، ولكنني ما زلت أجهل سبب ما ألم به، أصبح لدي بعض الوضوح ولكن!!
- ولكن ماذا؟
- عندما دخل العم حسين غرفة الضيوف نظر إلى صورة والدي المعلقة على الحائط وسمعته يسأل منتقم من هذا؟؟ يبدو أنه يعرفه جيداً وأن هنالك مشكلة ما أجهلها!! ولذلك لم يحدثنا والدي عن أهلنا في قرية الشهامة. نعم لقد خرج مسرعاً قبل أن يحضر والدي وهذا يدل على أنه لا يرغب في رؤيته، فربما كانت ستحدث مشكلة أو كارثة إذا ما تقابلا، لست أدري!!
- هذا صحيح ولكن يبدو أنك تجهل السبب.
- بكل تأكيد.

- ساوضح لك الأمر، ولكن ما يزعج منتقم خوفه من أن يخسرك كأخ وصديق وقريب إذا ما عرفت السبب.
- أنا – مستحيل لا يمكن أن أبتعد عنه ولو ساعة واحدة لقد احببته كأخ وربطت مصيري بمصيره وسنحيا معاً، ونستشهد معاً إن شاء الله، وقد عاهدته على ذلك.

روى حسام لمغير ما حدث في عرس أحمد شقيق والدته نعمة، ومقتل والده عرفان بطلقة خطأ صدرت من بندقيته وهو يناولها لأبيك فايز، وهل تعلم أن منتقم ابن خالك عرفان وأن والدتك نعمة ابنة عمه عرفان؟؟

- لم يكمل حسام عبارته حتى انطلق مغير خارجاً من غرفة العمليات وهو يصيح بأعلى صوته.. منتقم.. هيا خذ ثأر أبيك مني.
- استيقظ جميع من في المعسكر على صياحه، وخرجوا من مهاجعهم وكان منتقم عائداً من المطبخ يحمل دلة القهوة، ألقاها أرضاً وركض باتجاه مغير وتعانقا وكلاهما يجهش بالبكاء.

- أطلق أحد الشباب النار في الهواء وذرف الجميع الـدموع لهذا المنظر.
- حضر العم أبو علي إياد على صوت إطلاق النار وأخـذ يسأل لم هذه الضجة؟ ومن أطلق النار؟ ولماذا؟

لم يكمل عبارته حتى رأى منتقم ومغير متعانقين ويـذرفان الدمع.

- وقف مندهشاً أمام هذا المنظر، ونظر إلى حسام وسأله:
- ألم يذهبا في إجازة إلى الأردن، وما الذي عاد بهما؟
- نعم يا عم أبو علي، ولكن مثل حكايات ألف ليلة وليلة، والله يعين ويهدي الناس وكي يتناسوا الماضـي وأحقـاده ويعلموا أن هنالك عدواً واحداً ومغتصباً واحـداً وقـاتلاً واحداً هو العدو الصهيوني، ولـيس هنالـك ثـارات بـين الاهل والأحبة، وما حدث ليس إلا قتل بالخطأ.
- ثارات؟ سأل العم أبو علي إياد

روى حسام للعم أبو علي إيـاد قصـتهما وبـدأت دموعـه تتساقط حال إسماعيل لما يرويـه حسـام وهـو ينظـر إلى منـتقم

ومغير واللذان ما زالا متعانقين.

- حتى أنت يا عم أبو علي تبكي؟

- ألست إنسانا يا غضيب؟ أليس لدي عواطف وأحاسيس؟

طلب العم أبو علي من أبو أحمد السوري والذي حضر مع ابنه لؤي لدى سماعه أطلاق النار، أن يذبح خروفاً، للاحتفال بهذا العرس الفلسطيني.

أحضر أبو أحمد كبشاً ونحره في ساحة المعسكر، حيث تعالت الهتافات والزغاريد، وأخذ الجميع يعانقون المنتقم ومغير، وهنا علم الجميع أنهما لم يكونا أخوين، وإنما الآن تمت أخوتهما.

تنهد العم أبو علي إياد، وأخذ يتحدث معهما بكل مودة، واصطحبهما إلى مكتبه وشربوا القهوة معاً. سألهما العم أبو علي إياد: هل تريدان أن تذهبا إلى مصر معاً أم أرسل أحدكما إلى الجزائر.

- لا يا عم أبو علي سنذهب معاً حيث تريد، ولن يفرقنا إلا الموت، حتى الموت لن يستطيع أن يفرقنا، وإن شاء الله

سنستشهد معاً وفي عملية واحدة. قال منتقم وأردف مغير:

معاً في الحياة والممات، أليس كذلك يا ابن خالي عرفان؟

شعور واحد لفهما، وكلمات قالاها وشاء الله أن تتحقق.

في صباح الأول من شباط حضرت الطائرة المصرية وحطت في مطار المزة العسكري، ونزل منها أفراد الدورة العائدة من القاهرة وصعد إليها أفراد الدورة المغادرة، وكان من ضمنهم منتقم ومغير. واللذان صعدا سلم الطائرة معاً برفقة العم أبو علي إياد حيث ودعهما على متن الطائرة وجلسا في مقعدين متجاورين.

حطت الطائرة في مطار القاهرة، ونزل منتقم ومغير وجلسا في الحافلة التي تنتظرهم على مقعد واحد، وعندما وصلا إلى المعسكر اختارا سريرين متجاورين.

أعجب المدربون المصريون بانضباط ونشاط أفراد الدورة، ولكن ما أثار انتباههم الثنائي منتقم ومغير، وزاد إعجابهم بهما عندما علموا بقصتهما من أفراد الدورة واحتلا المركز الأول بعلامات شبه كاملة.

كانا ينتظران لحظة العودة للمشاركة في العمليات الفدائية.

حدد يوم الثامن عشر من آذار موعداً لعودة الدورة إلى سوريا، وحطت الطائرة في مطار المزة العسكري، وعلى متنها أربعة وأربعين فدائيا أنهوا دورة الصاعقة بنجاح. كان العم أبو علي في انتظارهم ونقلتهم الحافلة إلى معسكر الهامة، حيث كان الأخ أبو عمار وأعضاء اللجنة المركزية في انتظارهم. وحيث قام الأخ أبو عمار بتهنئتهم بسلامة الوصول وشكرهم على حسن انضباطهم وتحملهم للصعاب والجهد الذي بذلوه في التدريب مما ترك أطيب الأثر لدى مدربيهم من الأخوة المصريين ضباط وضباط صف وجنود.. ثم تابع قائلاً اخواني هنالك معركة قادمة ننتظرها خلال بضعة أيام بل خلال الساعات القليلة القادمة، معركة كبيرة تحدد وتقرر مصير ثورتنا بل مصير أمتنا، ولكن صدقوني إننا سننتصر بإذن الله، وسنعيد الثقة للمقاتل العربي بأن هذا الجيش الذي لا يقهر ما هو إلا جيش هش، لديه إمكانيات لو ملكناها لقضينا عليه في يوم واحد، ولَغيرّنا مجرى التاريخ، نعم بالإيمان والعزيمة والثبات سننتصر.

أنتم عائدون من دورة أجهدتكم وأنتم بحاجة إلى راحة وزيارة ذويكم حيث مضى عليكم ما يزيد على ثلاثة أشهر لم تحصلوا على إجازة. لم يدعوه يكمل عبارته حتى علا صوتهم وبعبارة واحدة دون إيعاز من أحد. وحوش.. نحن جاهزون – لا إجازات نصر أو استشهاد.

كانت البسمة والفرحة تعلو الوجوه، إنهم ينتظرون هذه اللحظة تابع الأخ أبو عمار حديثه وقال:

منذ مدة طويلة لم تعودا إلى بيوتكم وأعتقد أنكم مشتاقون لرؤية أهلكم وأحبائكم. إننا سنخوض معركة مصيرية وأعتقد أن معظم من سيشارك بها سينال الشهادة وأنني أقول لكم بصراحة لديكم كامل الحرية في الرفض أو الموافقة، ولن أعتبر الرافضين مخالفين للأوامر، ولن أتهمهم بالجبن، لأن هذه المعركة تخالف كل قوانين الحرب، وخاصة حرب العصابات التي تعتمد على الكر والفر، اضرب واهرب. إننا قررنا المواجهة وستكون هذه المواجهة دموية وصعبة. سنواجه جيشاً يملك الإمكانيات الهائلة والتي لا نملكها. إنه يملك الطائرات والدبابات وناقلات الجند والمدفعية الثقيلة والأعداد الكبيرة. إنه يتفوق علينا بالعدد

والعـدة ولكننـا نملـك الإيمـان والإرادة الـتي لا يملكهـا، والحـق سيتصـر علـى الباطـل. لـيس لـدينا سـوى سـلاحنا الفـردي والعبوات الناسفة وبضع قـذائف صـاروخية قديمـة الصـنع مثـل B2 و BIO وروكـت لانشـر، مـع إخوانـا في قـوات التحريـر الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني والتي قـررت مشـاركتنا في خوض القتال.

ثم وجه كلامه للعم أبو علي إياد:

اكتب لهم إجازات لمدة أسبوع، ولكـن يـا اخوانـا المعركـة ستنشب خلال يومين أو ثلاثة على أبعد تقدير.

صاح الجميع وبصوت واحد:

إلى المعركة، إلى الميدان، لا إجازات وإنما مواجهـات. والله أكبر والنصر لنا. نصرٌ أو استشهاد.

ورفضوا أخذ الإجازات، وطالبوا بنقلـهم فـوراً إلى ارض المعركة القادمة إلى الكرامة.

كان الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله قـد أهـدى لأفـراد الدورة سلاحاً فردياً كلاشـنكوف ومسدسـات وسـتة مـدافع هاون ٦٠ ملم.

تم نقل الدورة إلى الكرامة مع تجهيزاتهم وتم توزيعهم على القواعد وكان نصيب المنتقم ومغير قاعدة الأخ أبو شريف هواش. استقبلهما الأخ أبو شريف ورافق جميع أفراد الدورة الجدد بجولة ميدانية للتعرف على المكان ومدخل الوادي ومخرجه، والمغر الموجودة على جانبي الوادي والكمائن المنتشرة، حيث سيتم توزيعهم على هذه الكمائن. قاموا بزراعة الألغام في مدخل الوادي لإعاقة تقدم الدبابات والآليات المدرعة.

توقع الأخ أبو شريف أن يتم إنزال المظليين في أعلى الوادي فطلب من مجموعة الأخ منتقم ومغير التمركز في أعلى الوادي والاحتماء بالمغر والكهوف الصغيرة.

في صباح يوم الأربعاء أجرى الأخ أبو شريف وأفراد قاعدته مناورة شهدها الأخ أبو عمار وأعضاء اللجنة المركزية والقيادة العامة لقوات العاصفة وأبدوا ملاحظاتهم: وأعطى الأخ أبو عمار إرشاداته وتعليماته وأبلغهم أن المعركة قد تبدأ صباح يوم غد الخميس.

معركة الكرامة

(في غور الأردن)

في تمام الساعة الخامسة صباحا بدأت قوات العدو الصهيوني في اجتياز نهر الأردن شرقاً، وقامت طائرات الهيلوكبتر بإنزال المظليين في أعلى الوادي كما توقع الأخ أبو شريف. وما أن بدأ جنود العدو بالنزول إلى الوادي حتى وقعوا في الكمين المعد لهم إعداداً محكما فأبيدت الدفعة الأولى من الإنزال إبادة تامة وقدرت بسرية مظليين.

وهنا نفذ أبو الشريف تعليمات وأوامر الأخ أبو عمار بنقل الكمين إلى أسفل الوادي، فقامت الطائرات والمدفعية الصهيونية بقصف موقع الكمين قصفاً مركزاً ولكن لم يصب أحد نتيجة انتقال عناصر القاعدة إلى أسفل الوادي. أعد كمين محكم في أسفل الوادي وتم الاشتباك بالسلاح الأبيض مع أفواج المظليين الذي فروا إلى أعلى الوادي. تقدمت الدبابات في اتجاه مدخل الوادي فوقعت في حقل الألغام والتي أخذت تنفجر وعطلت تقدمها. حاول جنود العدو إصلاح جنزير إحدى الدبابات والذي قطع نتيجة انفجار لغم أرضي فتقدم

منتقم ومغير زحفاً باتجاههم وأطلق منتقم زخات من الرصاص على الجنود بينما قام مغير بإطلاق قذيفة آر بي جي ٢ باتجاه الدبابة فأصابها إصابة مباشرة أدت إلى اشتعالها. نهض منتقم وانطلق مسرعاً باتجاه الدبابة يمطر عناصرها بوابل من الرصاص. ظهرت فجأة مجنزرة قادمة على مدخل الوادي فألقى منتقم قنبلة "ميلز" عليها إلا أن أفرادها استطاعوا إطلاق النار وإصابته قبل أن تنفجر القنبلة داخل آليتهم. نهض مغير وركض باتجاه منتقم الذي أخذ يصيح: ارجع يا مغير، احذر، ولكنه تمكن من الوصول إليه واحتضانه وأثناء محاولته حمله حضرت طائرة هيلوكوبتر وأطلقت نيران رشاشاتها فسقطا أرضا واستشهدا متعانقين.

في نهاية المعركة استشهد جميع عناصر القاعدة بما فيهم قائدهم أبو الشريف فيما عدا شبلين تمكنا من الاختباء في أحد الخنادق تحت جثث الشهداء، حيث نفذت ذخيرتهما وبقيا مختبئين حتى بُدِئَ بجمع جثث الشهداء، فنهضا حيث شعرا بالأمان.

أثناء جمع جثث الشهداء طلب الأخ أبو عمار تجهيز عشرين شهيداً لتشييعهم في عمان ودفنهم بجوار ضريح الشهيد القائد عبد الفتاح حمود في مقبرة الوحدات في أم الحيران.

وطلب تجهيز مقبرة في الكرامـة بـالقرب مـن مـاتور الكهربـاء لمواراة جثامين الشهداء الباقين فيها حيث كانت بعـض الجثـث عبارة عن أشلاء وكانت إصابات جميع الشـهداء في صـدورهم وأوجههم ولم تكن هنالك أي إصابة من الخلف.

طلب حسام من الأخ أبي عمار إلقاء نظرة على الشهيدين البطلين منتقم ومغير فاتجه نحوهما وما أن رآهما حتـى فاضـت عيناه بالدموع وانحنى وقبلهما ونظر إلى حسام وقال له:

الله يسامحك ماذا أردت من ذلك.

- أرجوك يا أخ أبو عمار أن يكونا ممن سيشيعون في عمـان فعسى أن يتم الصلح بين ذويهما حالما يرون هذا المشهد.

روى حسام للأخ أبو عمار قصتهما باختصار وعلـى عجـل، حيث لم يكن هنالك وقت لسردها بجميع تفاصيلها وقال:

غايتي أن يتم الصلح بعد هذه السنين الطويلـة مـن العـداء والجفـاء وأن تعـود الميـاه إلى مجاريهـا وتهـدأ النفـوس وتـرق القلوب عندما يرى الأهل هذا المشهد والذي يعبر عـن حـب أقوى من الانتقام.

احتضن أبو عمار الأخ حسام وقبله وقال له:

الله يبـارك فيـك، ملاحظتـك في مكانهـا، وأصـدر أمـراً

بضمهما إلى جثامين أخوانهم الشهداء اللذين سيشيعون في عمان.

سارت الجنازة في عمان وسط مسيرة ضمت مئات الآلاف واللذين حضروا من جميع مدن وقرى الأردن ومن المخيمات الفلسطينية بالإضافة إلى من حضر من الضفة الغربية، وكانت نعمة والحاج حسين قد وصلا بناء على إصرار نعمة لإحساسها بأن ولدها وقرة عينها قد استشهد. وتم وداع الشهداء في حفل مهيب.

ما أن وصلت الجنازة إلى مقبرة الوحدات حتى لعلع الرصاص، وكانت القبور قد جهزت بناء على أوامر الأخ أبو عمار، وتم تجهيز قبر ليضم منتقم ومغير، وتجمع الأهالي وذوي الشهداء بجانب الحفر كل يبحث عن شهيده. لاحظ حسام أن هنالك امرأة ترافق الحاج حسين فأيقن أنها والدة المنتقم، تقدم إليها ودعاها لمرافقته فاستجابت له وأوقفها بجانب حفرة ولدها. هنا أيقنت أن ابنها شهيد، فأطلقت زغرودة أثارت انتباه الجميع، وردت عليها جميع النسوة المتواجدات، ومنذ تلك اللحظة أصبح الشهداء يودعون بزغاريد أمهاتهم وأحبائهم. وقف الحاج حسين بجوار زوجته أم المنتقم، وحوله أبناءه وأبناء

عمومته. همس حسام في أذن الحاج حسين قائلاً: هل رأيت ابن خالتك فايز هنا.

هز رأسه بالإيجاب وقال نعم، ولكن لماذا حضر هل استشهد ابنه عرفان أجاب حسام نعم وبحركة من رأسه وفاضت الدموع من عينيه وقال:

هلا أشرت لي أين يقف فايز. فقال:

هو ذاك الوكيل الذي يلبس البزة العسكرية الأردنية.

هنا صاح حسام يا الله هذا البطل الذي أوصل الشاحنة العسكرية المحملة بالقذائف رغم قصف الطائرات إلى مواقع المدفعية الأردنية في عيرا ويرقا وكان معه ابن قريتنا ؟؟ الوكيل أبو عرفات أيوب المعروف لقد كانا بطلين رغم انفجار الشاحنة التي تسير أمامهما، واستشهاد سائقها إلا أنهما استمرا في السير، إلى أن أوصلا القذائف للمدافع التي كانت تنتظر لنفاذ ذخائرها. يا له من بطل ووالد بطل.

ذهب حسام إلى والد مغير وصافحه وعزاه باستشهاد ولده وعرفه بنفسه وقال له: لقد دربتهما في الهامة وكنت لهما أخاً ولم

أشهد في حياتي من هـو برجولتهمـا وأخلاقهمـا فهنيئاً لهمـا، وعسى الله أن يكونا شفعاء لنا يوم القيامة.

انتفض فايز وقال: وهل استشهد منتقم؟

فأجابـه حسـام نعـم لقـد استشـهدا متعـانقين، هيـا معـي لوداعهما، لم يتمالك فايز نفسه عند سماعه الخبر فقـد اسـتطاع ضبط نفسه أمام زوجته وأبنائه حال تلقيه خبر استشـهاد ولـده وفلذة كبده عرفان، ولكن بعد أن سمع عن استشـهاد منـتقم لم يستطع وأجهش في البكاء.

وقف فـايز وأبنـاءه وإخوانـه إلى يسـار الحفـرة، وانتظـروا حضـور جثـامين الشـهداء.. احضـر التـابوت المغطـى بعلـم فلسطين ووضع بجانب الحفرة وما أن رفع العلم والغطاء ورأى الجميع عناق الشهيدين والبسمة تغمر وجهيهما حتـى أجهـش الجميع بالبكاء.

انحنى حسين وفايز لتقبيلهما فارتطم رأساهما، نظر كل منهمـا للآخر وعادا ليقفا متقابلين لا يفصل بينهما سوى حفرة القبر.

سجي الجثمانان في القبر، وانهـال عليهمـا الـتراب لـيملأ

الحفرة، وما أن تم ذلك حتى قرأ الحاج حسين والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس لم يكمل قراءة الآية حتى تقدم فايز وعانقه عناقاً طويلاً وأجهشا بالبكاء وقام كل فرد من العائلتين بعناق من يقابله، وعانق أبناء الحاج حسين أخوه المنتقم أبناء فايز أخوه المغير.

بعد أن تمت مراسيم الدفن اصطحب فايز أبناء عمومته وأهالي قرية الشهامة الذين حضروا إلى منزله في الزرقاء والذي رفض الحاج حسين دخوله مع المنتقم وهو على قيد الحياة.

سامحني يا أخي فايز لقد ظلمتك كثيراً لعن الله الطمع ولعن الله الشيطان الذي وجد طريقه إلي.

لا عليك يا حاج حسين لكنني مشتاق إلى أمي ليتها حضرت.

لقد أرسلت ابني علي لإحضارها وستحضر إن شاء الله. الله يصبرها ليتني استمعت إلى نصائحه ولقد رفضت أن أسمي ابن أخي منتقم وأصرت على تسميته يحيى وإن شاء الله سيحيا، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وما أن أنهى كلامه حتى دخل علي ترافقه جدته.

هب فايز للقائهما وسلم عليها، وقبل يـديها ودموعـه تنسـاب بغزارة احتضنته وقبلته وهي تجهـش بالبكـاء وتقـول ولـدي حبـيبي فزت يا فايز، حفظك الله يا بطل الأبطال ووالد الأبطال.

وفي وسط هذا الجو المليء بالدموع، علت زغرودة أذهلت الجميع، فأداروا وجوههم يبحثون عن مصدرها فإذا بهم يرون نعمة وصفاء في عناق وكانتا هما مصدر الزغرودة.

عادت المياه إلى مجاريها وعاد الحب والوئـام ليحـل مكـان الخصام الذي ليس له مكان إذا قوي الحب والإيمان.

أمضى الجميع أسبوعاً كاملاً وهم في فرح وسـرور ورغـم فقدانهم لأغلى حبيبين ولكنهما شهيدان حيان باقيان.

أثناء وداع فايز للحاج حسين سأله حسين متى سـتعود يـا أبـا الشـهامة لقريـة الشـهامة، فـالأرض كلـها في شـوق إليـك وخاصة بيتك وبيارتك.

ليس لي شيء وأنـت موجـود يـا حـاج حسـين وإن شـاء الله تكون معركة الكرامة أول الطريق لعـودة الكرامـة وتحريـر أرضـنا، وعودة الكرامة والحرية لشعبنا وأمتنا العربية والإسلامية.

ملاحظة:

- تم استخدام أسماء مستعارة حيثما وجب ذلك وخاصة أسماء الجواسيس والعملاء فإنها ليست حقيقية.
- كما اختير اسم الشهامة بديلاً عن اسم القرية الأصلية وكذلك قرية المروءة.
- راوحت أحياناً بين اللغة الفصيحة والعامية المتداولة في القرية الفلسطينية.


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET



العميد المهندس برهان محمد حاج إبراهيم جرّار

خريج جامعة الصداقة بين الشعوب - لومومبا في الاتحاد السوفياتي (سابقًا).

ماجستير هندسة ميكانيكية إنتاج صناعي ١٩٨٠.

خريج أكاديمية شرشال العسكرية / الجزائر ١٩٦٨.

خريج مدرسة الصاعقة الجزائرية ١٩٦٩.

خريج مدرسة المدفعية بجمهورية مصر العربية عام ١٩٧٠.

درس في كلية الحسين الزراعية بطولكرم (خضوري) عام ١٩٦٦.

عضو مجلس ثوري لحركة فتح لغاية ٢٠٠٥/٣/١٥.

عضو مجلس وطني فلسطيني لغاية ٢٠٠٦.

عضو مجلس تشريعي فلسطيني ١٩٩٦-٢٠٠٦.

قائد معسكر اللواء للوحدات الخاصة / الرصد المركزي عام ١٩٦٩.

نائب قائد قطاع الجولان ١٩٧١.

ملحق عسكري في سفارة فلسطين لدى الجزائر ١٩٧٢.

قائد قطاع الساحل (البحرية الفلسطينية) في حرب تشرين ١٩٧٣.

قائد مشغل الآليات الثقيلة لجيش التحرير الوطني الفلسطيني ١٩٨٠-١٩٨٢.

مسؤول الساحة السورية ١٩٨٣-١٩٨٤.

مسؤول هيئة التنظيم والإدارة على الساحة الأردنية ١٩٨٦-١٩٩٠.

مسؤول أمن الرئاسة وقائد قوات أل١٧ بالإنابة عام ١٩٩٢.

عاد إلى أرض الوطن بتاريخ ١٩٩٥/١/٢٨.



دار المأمون للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس

تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧

ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن

E- mail: daralmamoun@maktoob.com

